هذا كتاب ديوان الصبا للاديب
الفاضل شهاب الدين احمد بن
ابي حجلة المغربي رحمة الله
تعالى عليه

م م م
م

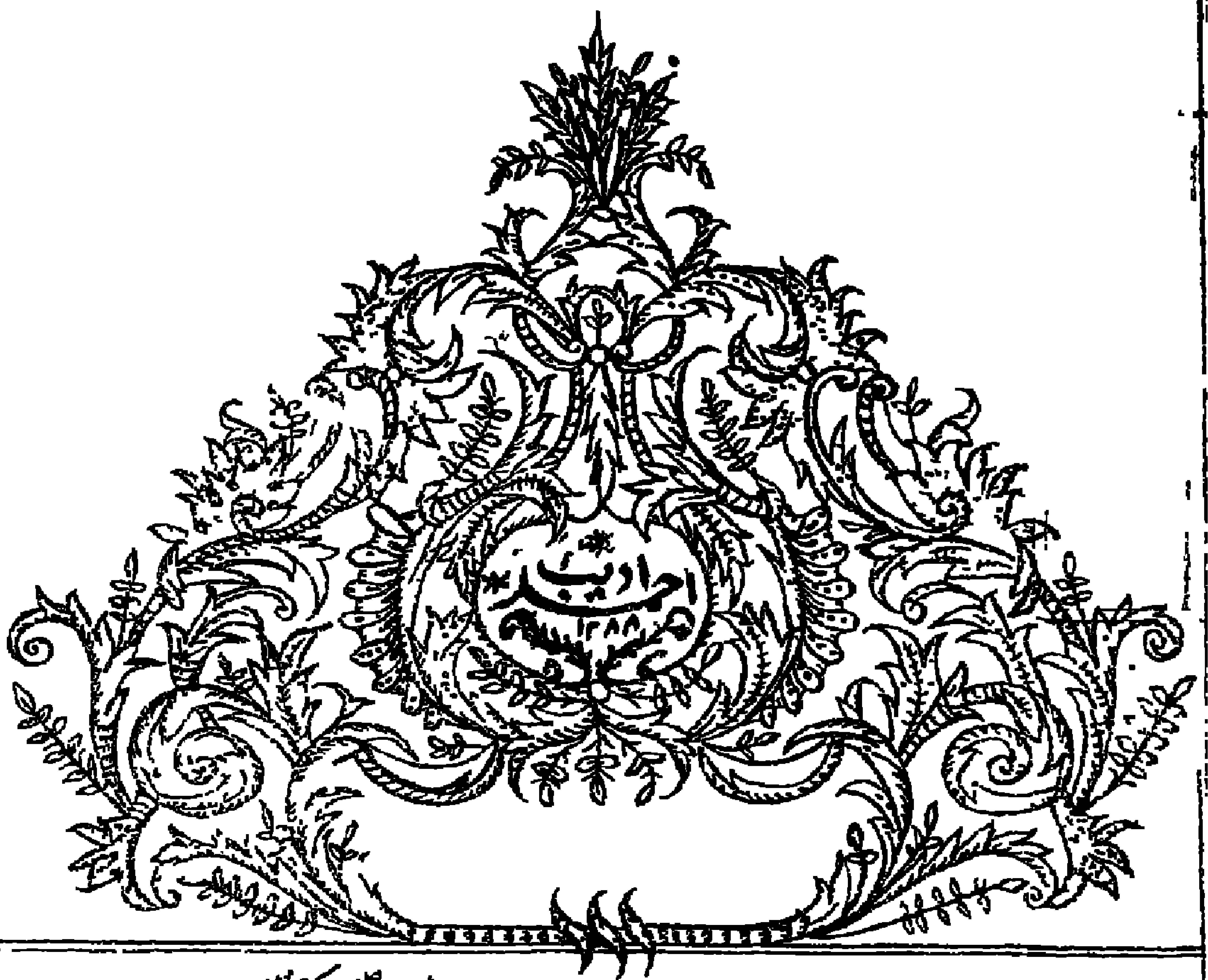
ترجمة المؤلف من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار

هو شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدا الدمشقي منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن ابي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعماية بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد ابي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه * ونور ضريحه * وكني جده بذلك لصلاح حاله * وتعلق الحجل والوحوش بأذياله * وزاوية جده بالمغرب مشهورة * واحاديث بركته منثورة * يؤخذ منها التراب لطلب الدواء * والتماس الشفاء * وقدم من المغرب مع ابويه واخوته فبلغوا السول * بزيارة الرسول * صلى الله عليه وسلم * ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال * وشاهد بمصر بعد رؤية ابي الهول الأهوال * وصنف كتابه غرائب العجائب * وعجائب الغرائب * وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * والحسود ليس يعجبه العجب

وله اكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والأدب وله شعر ونثر سيأتي شئ منه في اثناء هذا الكتاب

م م م
م م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل (للعاشقين بأحكام الغرام رضا) وحبب إليهم الموت في حب من يهوونه (فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا) فكم فيهم من عاشق * بمحب صادق * رأى فحب قوام الوصل فامتنعوا * فسام صبراً فأعيى نيله فقضى * أحمده حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * وشبب بذكر محبوبه إن كان تهاميًا في حجازٍ أو شاميًا في نوى شعري طوراً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ * وإن لقيت معديًا فعدناني * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد * شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد * وقال لعاذله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد * ولو أن ما بي من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة من أخلص في موالاته * وتبرأ من الإثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبرائه * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه * ويقفون عندما أمرهم ولا يتعدونه * ما ذر شارق * وهام عاشق * أما بعد فإن كتابنا هذا كما قيل * كتاب حوى أخبار من قتل الهوى *

وساربهم في الحب في كل مذهب * مقاطيعه مثل المواصيل المرتل *
تشبب فيه بالرباب وزينب * فهم ماهم * تعرفهم بسيماهم * قد تركهم الهوى
كهشيم المحتظر * واصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر * فهم ما بين قتيل وشهيد * وشقي وسعيد * على اختلاف طبقاتهم
واشكالهم * وتباين مراتبهم واحوالهم * وغير ذلك مما تصبح به اوراقه يانعة
الثمر * وتمسي به صفحاته في كل ناحية من وجهها قمر * فاذا نظرت الى الوجود
بأسره * شاهدت كل الكائنات ملاحا * على ان جماعة من العصريين
غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب * ولم يفرق غالبهم في التشبيب
بين زينب والرباب * وكل يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا *
فربع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور * وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب
محمود مشكور * ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام * وانشد في تصديق
هذه الدعوى اذا قالت حذام * مؤلف سلوك الحامة بالنسبة الى مجلته
يجل * وصاحب منازل الأحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل *
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه * يسري فيصبح دوننا بمراحل * اخر
فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال * فان قلت
الفضل للمتقدم * وهل غادر الشعراء من متردم * قلت نعم في الخمر معنى ليس
في العنب * واحسن ما في الطاووس الذنب * فدع كل صوت بعد صوتي فانني
انا الصائح المحكي والاخر الصدا * فكم ترك الأول للأخر * ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لأول منزل

فقد سقط في يديه * وقيل في الرد عليه

الخبر بأخر من كلفت بحبه * لاخير في حب الحبيب الأول
اتشك في ان النبي محمدا * ساد البرية وهو اخر مرسل

وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم

كذب الذين تحدثوا ان الهوى * لاشك فيه للحبيب الأول

* مالي أحن إلى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يوهل *
فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن مذكور

* كذب الذين تخرصوا في قولهم * ما الحب إلا للحبيب المقبل *
* أفطيب في الطعم ما قد ذقته * من مأكل أو طعم ما لم يوكل *

فقال ديك الجن أيضاً حين بلغه قول حبيب هذا

* ارغب عن الحب القديم الأول * وعليك بالمستأنف المستقبل *
* نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد أو كوصل مقبل *

وقال أبو البرق وسلك بينهما جادة الإنصاف * ويقول يجب الاعتراف لأنه أحسن في المقال * حيث قال * زاد على المعنى فكل محسن

* والحق فيه مقالة لا تجهل * الحب للمحبوب ساعة وصله *
ما الحب فيه لآخر ولأول * على أنني لم أجد ما في منازل الأحباب من ذكرى حبيب ومنزل * ولا تحاملت على مصنفه فوا عجبا من قلبي المتحمل * ولكن قصدت التنبيه على أن حسن التأليف مواهب * وأن للناس فيما يعشقون مذاهب * ومعلوم أن الجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولم يزل كتابنا هذا في مسودات مندمج * وبيوته من بحورها في لجج لا أبيح ما فيه من منازل الأحباب لساكن * ولا أمكن عاشقا من المرور بتلك الأماكن * أغار إذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه * حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري أدام الله نشر أعلامه * ولا أخلا كنانة من سهامه * ما نفذت مراسيم سهام المقل * وتثني قوام الحبيب الذي طاب بالرمان واشتعل * فبادرت إلى تجهيزه * وسبك إبريزه * حسب المرسوم الشريف * من غير تسويف ولا تكليف * ولم أبح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الأنام * لأنه كما يقال كل ما يصلح للمولى على العبد حرام * لا جرم أنه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر * وقال الواقف على عتبة بابه إن السعادة لتلحظ الحجر * فهو للسلطان بستان * وللعاشق سلوان

صادق * حبيب

موافق * وللمهجور نجوه * وللنديم قهوه * وللناسي تذكره * وللاعمى تبصره * وللشاعر المجيد * بيت القصيد * وللاديب الماهر * مثل سائر * وللمحدث قصص * وللحاسد غصص * وللفقيه تنبيه * وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره ... وتحلو له عند المرور نوادره
ففيه له في كل يوم وليلة ... حبيب ملم او نديم يسامره
ولي فيه نظم ان تضوع نشره ... ففي طيه حلو الكلام ونادره
ولي فيه منثور غدا في مقامه ... وعرف سناه مشرق الزهر عاطره
ولي فيه من سحر البيان رسائل ... اذا ما جفاني احور الطرف ساحره
ولي فيه اسرار الحروف لانه ... ينقطه دمعي فتبدو سرائره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره ... خدودي اذا ما خط فيها دفاتره
تمد مداد الدمع اقلام هدبه ... فدمعي حبري والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا ... فباشر قتلي من سبالي ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلي عاشق ... ولا عمرت بالعامري مقابره
وفي غزلي ذكر الغزال ومربع ... تطارحني فيه الحديث جآذره
انزهه عن وصف خدر عنيزة ... ومنزل قفر سرن عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها ... جرير كعبد او تقته جرائره
يشيب بها فود الوليد لانه ... يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست ارى يوما بدارة جلجل ... سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسي ذكرى حبيب ومنزل ... فاني لمن اهواه ما عشت ذاكره
اجاور في سفح المقطم جيرة ... فيا حبذا المحبوب حين تجاوره
فيا طيف من اهواه طرفي ان غفا ... اتهجره بالله ام انت زائره
وحقك لو سايرته بعض ليلة ... لسايرت صبا ما في الحب سائره
يملك لشوق الشديد لطرفه ... فتجري به كاخا جري محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق ... فيطرق اجلالا كانك حاضره
وبي من يحي الغصن رمح قوامها ... اذا بات في الروض النضير يناظره

اذا اقبلت في الحلي والطيب قل لي … حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهي غصن التفاتة … ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبرد ما القاه من حر هجرها … وقد حميت يوما علي هواجره
تحصنت في حصن الهوى من عوازلي … وبات لقلبي جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلي … لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندما … يشاهدها يغضي ويطرق ناظره
الغصن خد كالشقيق اذا بدا … وشعر لجنح الليل سود غدائره
لأن طاب ذلي في هواها فانني … وحقك ممن عز في مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده … كما اهتز غصن طار في الجو طائره
مليك ترى قبل ما هو كائن … بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا … جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صار كالبدر في الدجى … فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم … يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة … بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر باسه … لأن ملوك الأرض طرا تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه … وما هي الا سمره وبواتره
اذا اقترع اشكال الحلي اجتماعهم … فأي ضمير لم يدر فيه ضامره
واي كماة لم يرعهم نزاله … واي مكان ما علته منابره
واي قصيد بحرها لم يرق له … وغائص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر النظام خمسة … وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما … تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حوم مطرب … بتشبيبه في الحي يطرب زامره
ولو لم يكن مثل المسكر داما غدا … بحضرته يوما تطيب حواضره

نعم القته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح * وتوليت لاجله عمله بنفسي فجاء كما قيل على الترتيب المشروح *

اهيم

٧ اهيم بمن هام الحبيب بحبه * الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل ٧
وسلكت فى تأليفه الاختصار * والاقتصار على النوادر القصار * لأنه
كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار * ووضع له نجار * وقال يحيى بن
خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون * واحفظوا احسن ما تكتبون *
وحدثوا بأحسن ما تحفظون * وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيئا
عاداه وسميته ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه موها * ويعلم انه ان
لم اكن انا للصبابة منها * ما يعلم الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا
من يعانيها * اى والله * قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون
ورتبته على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمه اما المقدمه ففى ذكر حد العشق
واشتقاقه وما قيل فى وسمه ورسمه واسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه
ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ونحو
ذلك واما الأبواب فالباب الأول فى ذكر الحسن والجمال * وما قيل
فيهما من تفصيل واجمال * والباب الثانى فى ذكر المحبين والظرفا *
من الملوك والخلفا * والباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع * ووقع
من النزوع الى الحبيب فى نزاع * والباب الرابع فى ذكر من نظر اول نظره
* فاحترق من خد الحبيب بجمره * والباب الخامس فى ذكر تغير الالوان
* عند العيان * من صفرة ووجل * وحمرة وخجل * وما فى معنى ذلك من عقد
اللسان * وسحر البيان * والباب السادس فى ذكر الغيره * وما فيها من
الحيره * وقرع سن * ديك الجن * والباب السابع فى ذكر افشاء السر
والكتمان * عن ابناء الزمان * والباب الثامن فى ذكر معاطلة الحبيب
واستعطافه * وتلافى غيظه وانحرافه * والباب التاسع فى ذكر الرسل
والرسائل * والتلطف فى الوسائل * والباب العاشر فى ذكر
الأحيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف
معانيه * والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله * وخفقان
شفقه ونصوله وما فى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر

قلة عقل العذول * وما عنده من كثرة الفضول * والباب الثالث عشر فى ذكر
الأشاره * الى الوصل والزياره * والباب الرابع عشر فى ذكر الرقيب والنمام
* والواشى الكثير الكلام * والباب الخامس عشر فى ذكر العتاب * عند
اجتماع الأحباب * وما فى معنى ذلك من الرضى * والعفو عما مضى * والباب
السادس عشر فى ذكر اغاثة العاشق المسكين * اذا وصلت لعظم السكين
* والباب السابع عشر فى ذكر دواعلة الجوى * وما يقاسيه اهل الهوى
والباب الثامن عشر فى ذكر تعنت المعشوق * على النصب المشوق * وغير ذلك
من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على الجمر * والباب التاسع عشر
فى ذكر الدعاء على المحبوب * وما فيه من الفقه المطلوب الباب العشرون القلوب
فى ذكر الخضوع * وانسكاب الدموع * والباب الحادى والعشرون فى ذكر
الوعد والأمانى * وما فيهما من راحة العانى * والباب الثانى والعشرون
فى ذكر الرضا من المحبوب * بأيسر مطلوب * والباب الثالث والعشرون فى
ذكر اختلاط الارواح * كاختلاط الماء بالراح * والباب الرابع والعشرون
فى ذكر عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب
وتشبيه الردف بالكثيب * والباب الخامس والعشرون فى ذكر ما يكابده فى
طلب الأحباب * من الأمور الصعاب * والباب السادس والعشرون فى ذكر
طيب * ذكرى حبيب * والباب السابع والعشرون فى ذكر طرف يسير من المقاطيع
الفائقه * والأغزال الرائقه * مما اشتمل على ورد الخدود * ورمان النهود
* وغير ذلك * مما هنالك * والباب الثامن والعشرون فى ذكر طرف يسير
من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال * وما فى معنى ذلك من
ذكر مولاتهم * ووصف الاتهم * والباب التاسع والعشرون فى ذكر
من ابتلى من اهل هذا الزمان * بحب النساء والغلمان * والباب الثلاثون
فى ذكر من اتصف من العفاف * بأحسن الأوصاف * واما الخاتمه
ففى ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من غنى وفقير * وكبير وصغير * على
اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم استوعب هذا

الكتاب

الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * ومن هنا نشرع فى ذكر ما يجلب
الراحة كرواح الجيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش * وهذه
المقدمة فى ذكر رسم العشق ووسمه * ومدحه وذمه * وذكر اختلاف الناس فيه هل هو
اختيارى او اضطرارى ويشتمل ذلك على خمسة فصول * الفصل الاول
فى رسم العشق ووسمه * وما قيل فى اسمه * اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم
العشق وحده * وجزر بحره المتلاطم ومده * وما للناس فيه من الكلام الباين
* والقول المتباين * اذ فيهم من التبس عليه * فسماه باسم سببه او باسم
ما يؤول اليه * وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب * واصابة الصواب
وعذرهم الظاهر قول الشاعر * يقول اناس لو نعت لنا الهوى
ووالله ما ادرى لهم كيف انعت * فليس لشئ منه حد احده
وليس لشئ منه وقت موقت * فمن حدوده المليحه * ورسومه الصحيحه * قول
فيثاغورس الذى اخذ عن اصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما
ذكره صاعد فى كتاب الطبقات العشق طمع يتولد فى القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى
ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه فى الاهتياج واللجاج والتمادى
فى الطمع والفكر والامانى والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم
المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء او التهاب الصفراء
وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر
يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمنى ما لا يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون
فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات
فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعة وعشرين ساعة
فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه
فى تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه
هرب دمه واستحال لونه قال الامام بن الامام محمد بن داود الظاهرى
واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه
بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه

العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيؤ التلطف فيه بزوال سببه فأمّا اذا وقع السببان وكان كلّ واحد منهما سبباً فاذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سبباً لاحتراق الدّم والصّفراء وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذي يعجز عن معالجته الأطباء ومنها قول افلاطون الاخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعي محدث للشجاع جبناً وللجبان شجاعة يكسو كلّ انسان عكس طباعه حتي يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديان الى الداء العضال الذي لا دواء له ومنها قول ارسطاطاليس الاخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم وقول الشاعر * فلست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا وقول الآخر * وعين السخط تبصر كل عيب * وعين اخي الرضا عن ذاك عميا ومنها ما مشي عليه ابو علي بن سينا وغيره من الأطبا * العشق مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفا العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقي اوجبها كرم الله تعالى على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الألفة وهي موجودة في الأنفس بقدر مراتبها عند اربابها فما احد الا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولأجل ذلك كان اشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الأخرى مع كونها مخبراً لهم عنها بصوت اللفظ وقال الأصمعي سالت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفي عن ابصار الورى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته ري وان تركته تواري وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه

واحتج بقول قيس * قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين
* العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين *
* اني جننت فهاتوا من جننت به * ان كان يشفي جنوني لا تلوموني *
وقيل لابي زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء اهل الظرف
* وقيل لابي وائل الاوضاحي ما تقول في العشق فقال ان لم يكن طرفا من
الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين
المتحرك وقال المأمون ليحيى بن اكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء
فيهيم بها قلبه ويوثرها نفسه فقال له ثمامه اسكت يا يحيى انما عليك
ان تجيب في مسئلة طلاق او محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن
فقال له المأمون قل يا ثمامه قال العشق جليس ممتع وانيس مونس وصاحب
مالك مسالكه لطيفه ومذاهبه غامضه واحكامه جاريه ملك الابدان
وارواحها والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها قد أعطي عنان طاعتها
وقوة تصرفها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب مسلكه فقال
له المأمون احسنت يا ثمامه وامر له بالف دينار وهذا القدر كاف في معرفة
العشق ورسمه * الفصل الثاني في اسبابه وعلاماته اقول هذا
الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق النفسانيه * وعلاماته الجثمانيه *
على ان هذا النوع الاخير كثير * والمتصف به من المحبين جم غفير * وسنورد من
ذلك ما يعذب وروده * ويحقق كذب العاشق بنوده * ان شاء الله تعالى قال
بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني
ارتفاع بخار ردي الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك اكثر ما يعتري العزاب
وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند
غيبة الطبيب ان اكل الطيور المسمونة يورث العشق وقال ايضا في الخلاصة
علامته نحافة البدن وخلو الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة
وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كانه ينظر الى
شئ لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعدا ونبض غير منتظم

لاسيما عند ذكر اسماء وصفات مختلفة فانها اشتد عنده اختلاف النبض
وتغير الوجه فهو برقان قال ارسطاطاليس الفلكي للعشق من النجوم زحل
وعطارد والزهرة جميعاً ولذلك اذا اشتركوا في اصل المولد او اجتمعوا او تناظروا
في اشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة في بيت احدهم او في حده وكان رب
البيت او صاحب الحد ناظراً اليه او كانت الكواكب المذكورة ناظرة في اشكال محمودة
او مقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمني والطمع والهم والهيجان والاحزان
والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق
والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة تهيئ العشق
والوله والهيمان والرقة وتبعث في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث
والمغازلة التي تبعث على الشبق والغلمة وتدعوا الى الطرب وسماع الاغاني
وما شابهه وقال بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر في برج واحد
او متناظرين من تثليث او تسديس فمتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل
واحد منهما لكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد او يتناظران الشهمان
من تثليث او تسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك
يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة
وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فيجلب المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويمتزجان
ويؤيد هذا قول الخبزارزي لكن ارواح المحبين تلتقي * اذا كانت الاجساد عنهن نوما
واحسب روحينا من الاصل واحداً * ولكنه ما بيننا منقسما
ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت * له مهجتي بالغيب لما تألما
ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته
له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم
بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبراً عن كمال ادب نبيه
صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسرى ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب
فان البصر لم يزغ يميناً ولا شمالاً ولا طمح متجاوزاً الى ما هو وراءه ومنها
اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع اسمه كما قيل

ودواعٍ دعى اذ نحن بالخيف من منى * فهيّج احزان الفؤاد وما يدري
دعى باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائراً كان في صدري
دعى باسم ليلى اسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام في بلد قفر

ومنها انه يستدعي سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في اخباره ويحب اهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكني اكناف دجلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وقال آخر * احب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب *

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك والاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داعٍ الى مفارقته والتباطي في المشي عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبذله سوالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبي صلى الله عليه وسلم في الحروب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل * يفديك بالنفس صب لو يكون له * اعز من نفسه شيء فداك به * ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق في المكان الواسع والمحاربة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز الخفي والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما امكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما بقي المحبوب في الاناء قلت ومنها تقبيل نعله في غيبته وقد رايت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما في هذا من اللذة ثم اني وجدت هذا المذكور بمكة وارسل معي كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف امكن الصبر يا زيد عن عمرو فانشد * ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

* ومنها تقسيم جدار الدار كما قيل

امرّ على الدّيار ديار ليلى * اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الدّيار شغفن قلبي * ولكن حبّ من سكن الدّيارا

ومنها الأتفاق الواقع بين المحبّ والمحبوب ولاسيّما اذا كانت المحبّة محبّة مشاكلة ومناسبة فكثيرًا ما يتكلّم المحبوب بكلام او يريد ان يتكلّم به فيتكلّم المحبّ به بعينه وكثيرًا ما يمرض المحبّ بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا غير مرّة للسّلطان الملك النّاصر احمد لمّا كان بالكرك مع محبوبه الشّهيب فأنه كان يمرض لمرضه ويصحّ لصحّته اخبرني بذلك من الأرباب في قوله ممّن كان في خدمته مُلازمًا له وامّا وقوع ذلك للمتقدّمين فكثير فمن ذلك ما حكي عن ابي نواس انّه مرض فدخل عليه بعض اصحابه يعودونه فوجدوا به خفّة قال فانبسط معنا وقال من اين جئتم فقلنا من عند عنان جارية النّاطفي فقال او كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الأن فقال والله لقد انكرت علّتي هذه ولم اعرف لها سببًا غير انّي توهّمت انّ ذلك لعلّة نالت بعض من احبّ ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعًا ان يكون الله عافاه منها قبلي ثمّ دعا بدواة وكتب الى عنان

انّي حممت ولم اشعر بحمّاك * حتّى تحدّث عوّادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمّى لتطرقني * من غير ما سبب الّا بحمّاك
وخصلة كنت فيها غير متّهم * عافاني الله منها حين عافاك
حتّى اذا اتّفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

ومنها انّه اذا سئل عن امر اجاب بخلافه وكثرة التّثاوب والتّمطّي والتّكسّل اذا نظر الى محبوبه ونكته في الأرض بأبهام رجله وهذا كثيرًا ما يقع للنّساء وعضّها على شفتها السّفلى وضربها على عضديها او ثدييها واظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انّها تري ذلك لبعض اهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث في غير موضعه (اياك اعني واسمعي يا جاره) ومنها الأنقياد للمحبوب في جميع ما يختاره من خير وشرّ فأن كان المحبوب مشغوفًا بالعلم اجتهد المحبّ في طلبه اشدّ من اجتهاده وان كان مشغوفًا بالنّوادر والحكايات الحسان والأخبار المليحة المستحسنة بالغ المحبّ في طلبها وحفظها وان كان مشغوفًا بحرفة او صناعة اجتهد في تعلّمها

ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبليه كل البليه ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به وفي اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل سراويل معشوقته فوجد في تركته اثني عشر جملا وفردة من السراويلات ذكره الصيمري وعشق اخر الهاونات من اجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته عشرة الاف منها وقد وقفت من هذا على اشيا كثيرة والجنون فنون * الفصل الثالث في مراتبه واسمائه اقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشيء اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر والرمح والخمر والسيف والداهيه * والمحبة المحرقة وما ادراك ما هيه * وضعوا له اسماء كثيرة * وكانت عنايتهم به شهيرة * ولا شيء يعدل اعتنائهم بالحب * الذي يسلب اللب * فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر * ان التي زعمت فوادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها * ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر * ولقد اردت الصبر عنك فعاقني * علق بقلبي من هواك قديم * وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة وهي المشقة يقال كلفه تكليفا اذا امره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل هو ماخوذ من الاثر وهو شيء يعلو الوجه كالسمسم والكلف ايضا لون بين السواد والحمرة وهي حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب وفي الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة انواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وهو امر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكانهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وانما اولع به المتاخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة

الا في حديث ابن داود الظاهري كما يأتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب
بالمحبوب ويكون في عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر
وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق
وتصفر قاله الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت
لزج فسمي العشق الذي يكون بالانسان للزوجه ولصوقه بالقلب وقال ابن
الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر
فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل
والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة
عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم * ثم الشغف قال العزيزي
في غريب القرآن شغفها حبا اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف
القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع
حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال اي رؤسها وقولهم
فلان مشغوف بفلانة اي ذهب به الحب اقصى المذاهب * واما الشعف
بالعين المهملة فهو حرق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق
قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج اخي
مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه واحرق
جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته
فهذا هو الهوى المحرق * ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة
وشدة الوجد من عشق او حزن * ثم التتيم وهو ان يستعبده الحب ومنه
سمي تيم الله اي عبد الله ومنه قيل رجل متيم * ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى
ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم * ثم التدله
وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اي حيره * ثم الهيام وهو ان
يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيم بالكسر الابل
العطاش وقوم هيم اي عطاش * والصبابة رقة الشوق وحرارته
والمقة المحبة [illegible] المحب * والوجد الحب الذي يتبعه الحزن واكثر ما يستعمل

في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع ...
وانما استعملته العرب في المرض والشجوب يتبعهم وحد ...
والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق و...
نزاع النفس الى الشئ وقد جاء في السنة في اسئلك لنظر الى و...
الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول
بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لأنه سفر القلب الى المحبوب
فاذا وصل اليه انتهى السفر

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر

* واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام *

قالوا لأن الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب
وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان ... الحاصل
عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة من المحب قال
ابن الرومي

اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى
والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان يرى الروحين يمتزجان

والبلبال الهم ووسواس الصدر ... بل جمع بينه يقال بلابل
الشوق وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح
بالحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر
القلب من حب او سكر او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت
وحاجة المحب اشد الى محبوبه وقال الراجز

اني سابدي لك فيما ابدي
لي شجنان شجن بنجد
وشجن لي ببلاد السند وقال اخر

تحمل اصحابي ولم يجدوا وجدي * وللناس اشجان ولي شجن وحدي
والوصب الم الحب ومرضه فان اصل الوصب المرض * والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون * والارق السهر وهو من لوازم المحبة * والحنين الشوق والجنون اصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا * والود خالص الحب والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة * والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه وهي مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا * وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع اجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا *

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل من انعام الحب العام * على الخاص والعام

حللت بهذا حلة ثم حلة * بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين قال كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

والوله

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسماء اخر غير
هذه اضربت عنها خوف الإطالة * والمحبة أم باب هذه الأسماء
كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه الا ترى ان كل محبة
شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور
فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشئ فيتبعه
غيا كان اورشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال
للعاشق والواجد والذى يهوى الأمر محب وللناس فى حد المحبة كلام
كثير فقيل هى الميل الدايم بالقلب الهائم وقيل هى قيامك لمحبوبك بكل ما
يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قال المتنبى

* يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل *

وقيل هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

* ومن عجب انى احن اليهم * وأسال عنهم من لقيت وهم معى *
* وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى *

وقيل هى حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الاخر

*خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب *

وفى اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى
سويداوه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب
وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك
فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه اوما يعلو الماء
عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب
الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره
اذا امتلاء بكذلك اذا امتلاء القلب من الحب فلا اتساع فيه
لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذى يسميه المصريون الزير
ما احسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز
الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

* وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب *
* اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب *

الفصل الرابع فى مدحه وذمه اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه * وترياقه وسمه * فكم مدحه عاقل * وذمه متغافل * هيهات فات من ذمه المطلوب * ومن اين للوجه المليح ذنوب * فمن خصاله المحموده * وفضائله الموجوده * ما قاله العلامة قدامه * العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان الاعجم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكائد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويونس اليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب * وقيل لبعض الحكماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه * ولطفت معانيه * وملحت اشاراته * وظرفت حركاته * وحسنت عباراته * وجادت رسائله * وحلت شمائله * فواظب على المليح * واجتنب القبيح * وقيل لآخر كذلك فقال لا باس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق * وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرنى انى خلى من الهوى * ولو ان لى ما بين شرق ومغرب

وقال اخر

ولا خير فى الدنيا بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب

وقال اخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وانت خال مفرد

وقال اخر

انا المندق في هذه الدار صبوة * فموتك فيها والحياة سوآء

وقال اخر

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر * حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال اخر

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى احد اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا مضمنا لقول المتنبي هذا مع زيادة التوريه

ان تسالوا عما لقيت من الهوى * فانا الذي مارسته وعرفته
خالفت في رشف الرضاب وضمه * وعذلت اهل العشق حتى ذقته

حكي ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التي قيل انه عشقها ان تجني عليه وقولي اني لا اصلح الا لشريف النفس عالي الهمة ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع التعلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك في حكمة الكسرى ان الملك لا يصلح الا بعد عشقه وكذلك الاطباء قالوا والعشق المباح مما يوجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا اعظمهم اجرا قالوا وارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم ضعيفة خفيفة وارواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشية مساكنها الذي سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق وعند دمعهم [illegible]

يتحرك النفوس وتطرب الارواح * وتجلب الافراح * ويتشوق الى سماع اخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال ان يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفا فمن دونهم تدور اخباره * وتروى اشعاره * ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم * ولا جرى له رسم * ولا رفع له راس * ولا ذكر مع الناس * وقال المرزبانى سئل ابو نوفل هل سلم احد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فاما من فى طبعه ادنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز وظرف اهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لايخلوا احد من صبوة الا ان يكون جافى الخلقة ناقصا او منقوص البنية او على خلاف تركيب الاعتدال

فو عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر *

ويكفى العاشق انه يرتاح للمعروف * واغاثة الملهوف * كما قيل

* ويرتاح للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *

وقال ابو النجاب رايت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله * [illegible] فى قلبى وينغلق الصدر *

فلا ينقضى ما فى فوادى من الهوى * ومن فرحى بالحب وينقضى العمر *

فقلت يا فتى اما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال [illegible] والله ولكن الحب ملاء قلبى فتمنيت المنى والله ما سرنى ما بقلبى [illegible] ما فيه امير المومنين [illegible] الملك وانى ادعو [illegible] الله فى قلبى [illegible] عمرى * ويجعله ضجيعى فى قبرى * [illegible] برام [illegible] * هذا [illegible] له قصدت [illegible] فيه ترغبت مما يعطى الله سائر خلقه ثم مضى [illegible] ذكرت هما ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال [illegible] شعرى [illegible] فيها واولها [illegible] واخرها خمار فقال

لكن بينهما والله نشوة لا ابيعها بخلافتك يا امير المؤمنين اخذه الشاعر

فقال ان يكن اول المدام كريها * او يكن اخر المدام صداعا *

* فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا *

واما ما جاء في ذمه * وسريان سمه * فاكثر من ان يحصر فكم

ترك الغني صعلوكا * والمالك مملوكا * كما قيل

* ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا *

* تركه جائر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا *

وهذه الأبيات لبعض ملوك الأندلس وسيأتي ذكرها في الباب

الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق اتلف

في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع اهله ومصالح دينه ودنياه

* ووقع فيما يأباه * اي والله

والعشق يجذب النفوس الى الردى * بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف

بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي

بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت

فنظر الي فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم انشد

انا في امري رشاد * بين حب وجهاد

بدني يغزو عدوي * والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله قال فوالله ما خرجت الا هاربا من

الحب ثم قاتل حتى قتل وقالوا الدمشقي

[illegible] * [illegible]

و[illegible] * ويوم الهوى دهر

وقال غيره

العشق مشغلة عن كل صالحة * وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

وقال عبد المحسن الصوري

* وكان ابتداء الذي بي مجونا * فلما تمكن امسى جنونا *
* وكنت اظن الهوى هينا * فلاقيت منه عذابا مهينا *

وقال محمد اليزيدي

* كيف يطيق الناس وصف الهوى * وهو جليل ما له قدر *
* بل كيف يصفو لحليف الهوى * عشق وفيه البين والهجر *

ومنه احسن قول عبد الله بن اسباط القيرواني

قال الخلي الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان انت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردهما كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته

تنبيه الهوى اكثر ما يستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى * وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ افرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف ان الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو في الخير والصلاح وهوى مذموم وهو في الشر والفساد وفي كتاب اسهل المواتي في فضائل بن مماتي ان بعض الصوفية قال انما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوي بصاحبه الى الهاوية لكان انسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

* فسالتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون *
* فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون *

وقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه قيل اخلد الى الارض اي سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه ارضية سفلية *

لا سماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض يهبط من السما قال
سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها
الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية * وسبع
حجب ارضية * فكلما دفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء
سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل
القضية ان العشق والهوى اصل كل بلية * وفيه ذل كل نفس ابية *
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء ان يذل نفسه
قال الامام احمد تفسيره ان يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا
مطابق لحال العاشق فانه [illegible] ذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس [illegible] * شرع الهوى انف يشال ويعقد

وقال اخر

مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين ابن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنى * فاوله سقم وآخره قتل

الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري
او اختياري اقول هذا فصل قدمناه لما تقدم ذكره * وا[illegible]
كالصباح سفره * [illegible] فيه كلام من الطرفين * وتبختر بين
الصفين * فقائل بانه اضطراري * وقائل انه اختياري * ولكل
من القولين وجه مذهب [illegible] ترجيح * ونحن نذكر من ذلك ما به
الانتفاع * ونتكلم [illegible] عرضه بالباع والذراع * فمن ذلك
ما قاله القاضي ابو محمد [illegible] التوفاني في كتاب تحفة الظ[illegible]
[illegible] جمهورهم جميع الاقوال [illegible]
[illegible] اعتراهم على جبر واضطرار
[illegible] الامور [illegible] في مقتضى عليه

والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل
كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف
ترى هذه وضعته اباختيار منها كان ذلك ام باضطرار لا بل باضطرار
وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب * ولا يختلج خلافه في قلب
قلت وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه اى رأينه في اعينهن
كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس امذين وامنين
من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن
الم الحز ايديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب
كن اربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه
وما احسن قول بعض بني عذره وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم
يموت عشقا في هوى امرأة يالفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور
تجدونه فيكم يابني عذره فقال اما والله لو رأيتم الحواجب الزج *
فوق النواظر الدعج * تحتها المباسم الفلج * لاتخذتموها اللات
والعزى وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت
الله تعالى بها ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية
ورؤى ابو السائب المخزومي وكان من اهل العلم والدين وكان
متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو
قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال
والله للدعاء لهم افضل من عمرة من الجعرانة ثم انشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى * للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفوتهم * قرحى وحشو قلوبهم جمر
متدلهين من الهوى الوانهم * مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم * درر تفيض كانها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذى جسر
المعتمد بن خاقان على قوله من ابيات

* أيها العاشق المعذب صبراً * فخطايا أهل الهوى مغفوره *
* زفرة في الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره *

قلت وقد بالغ في هذا الكلام * حتى استحق الملام * فليته اكتفى بما قيل في التمثيل

على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر أن الحامل له على هذا ما ذهب إليه الشافعي في أن الميت عشقاً من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف إن شاء الله تعالى وقال التميمي في كتاب امتزاج الأرواح سئل بعض الأطباء عن العشق فقال إن وقوعه بأهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لأكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والأمراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائني لام رجل رجلاً من أهل الهوى فقال لو كان للنفس هوى واختيار لاختارت أن لا تهوى ولكن لا اختيار لذي هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفي هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

حكي أنه ما عمي إلا أنه عمي بعد قوله هذا وقال أبو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين إني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال [illegible]

يلومونني في حب سلمى كأنما * يرون الهوى شيئاً تمنيته عمدا
ألا إنما الحب الذي صدع الحشا * قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وإنما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل ما لا يطاق

والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدري لا الشرعي الامري انتهى كلامه وقال عبد الله بن طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد في تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لأزالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم في هذا الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه وما احسن قول بعضهم

* ياعاذلي والامر في يده * هلا عذلت وفي يدي الامر *

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب * وانصباب دمع العاشق الصب * وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق الذي ذكره ابن سينا وغيره انه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بان الانسان هو المختار في العشق بتسليط فكرته الواقع في بحار سكره قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ولهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا واخبر ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بانى لا املك قلبى لم يقبلوا له عذرا قلت والقول الصحيح الذي ليس فيه رد * ولا عن محجوبه صد * التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة

القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا راى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

* انما مصعب شهاب من الله * تجلت بنوره الظلماء *

ومنهم من اذا راى المليح سقط من قامته * ولم يعرف نعله من عمامته * قال الشاعر

* فما هو الا ان يراها فجاءة * فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وامثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس ومنهم من يكون اول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التميز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختياري لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع ايضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق اول ما يكون مجانة * فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل اوله لعب * واخره عطب * قال الشاعر

* تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق *

* راى لجة ظنها موجة * فلما تمكن منها غرق *

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختياري وما يتولد عنه من السكر اضطراري

فمتى كان السبب واقعاً باختيار لم يكن معذوراً فيما تولد منه
بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر
بمنزلة شرب المسكر فهو بلا شك في السبب وعند اذا حصل العشق
بسبب غير محظور لم يلم عليه كمن كان يعشق امرأته او جاريته
ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما
في قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون
اضطراريا تارة واختياريا اخرى وذلك بحسب طاقة العاشق كما تقدم
فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطراري مطلقاً او اختياري مطلقاً
غير مقبول * عند ذوي العقول * والله تعالى اعلم * اقول
والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التي طاب زمانها وتمهدها
* وضربها في وجنة الورد حمرة الخجل وما بقي الا الدخول في الابواب
على الوجه المقترح * والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق
باب كريم فتح * الباب الاول في ذكر الحسن
والجمال * وما قيل فيهما من تفصيل واجمال * اقول هذا
باب عقدناه للكلام على الحسن واقسامه * والحبيب وكلامه
* ولا سيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب في ثغره الضرب
* وعذب مقبله * وتساوى من حسنه في الحال ماضيه
ومستقبله * هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين
هما الظاهر والباطن * والظاعن والقاطن * فالجمال
الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعه * والجود والشجاعه *
والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب * ووجهه الذي
فاق ببديع طلعته الشمس عند المغيب * فعند ذلك تشمت بالبدر
شماتة * ويقول للخد الذي ازداد بها حسناً من زاد زاده الله
في حسنه * فلذلك قيل الحسن الصريح * ما استنطق الافواه
بالتسبيح * وقيل بل هو كما قيل

شيء به فتن الورى غير الذي * يدعى الجمال ولست ادري ما هو
قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتى كأنه
نكرة لا تعرف ومجهول لا يعرف ولذلك قال بعضهم الحسن معنى
لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق
من الحسنة قلت والذي يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات
حسنات قال بعضهم في سوداء مليحة

* يا رب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات *
* ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات *

وقلت انا

ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا
تقول الخط بالشامات امسى * فما حسناته الا ذنوبا

وقيل الحسن امر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل
وتخطيط ودموية في البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها
واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست في الحسن
بذلك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا تم بياض المرأة
في حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضي الله عنها
البياض شطر الحسن وقالوا في امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب
فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة واذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة
التي كلما [illegible] بصرك زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة
من [illegible] الحمرة وهي البياض والصبحة
كذلك [illegible] بعضهم الظرف في القد والبراعة
في الجسم [illegible] الشأن كله في الكلام
[illegible] قال امرؤ القيس
[illegible] وقال الآخر
[illegible] بحليها تزين *

وقال بعض اهل اللغة العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان ومنه قول الحسن رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع اى اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما احسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف * وفي الوجه المحاسن واليها الاستشراف * وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف * كالملاحة في العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق في الخد ونكتة الخد الضرج * ومما يستحسن في المرأة طول اربعة وهي اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها * وقصر اربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها * والمراد بهذا القصر المعنوي بان تبذر ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها * وبياض اربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها * وسواد اربعة اهدابها وحاجبها وعينيها وشعرها * وحمرة اربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب بياضها بحمرة * وغلظ اربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وما هنالك * وسعة اربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها * وضيق اربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنيها وما هنالك وهو المقصود الاعظم من المرأة قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفة المذكورة جميعها فما كان احقها ان يقال في حقها لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها وحكى ان يعصور احد ملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتتلألأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع تضرب اهداب عينيها خديها كأن بين اجفانها لمعان البرق

مقرونة الحاجبين لها صفائر تجرهن اذا مشت * فصل قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت امرء قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرأة فان راى صورة حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان راها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

يا حسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي بن ابي طالب وقد سئل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كأحمد * نظام لحق او نكال لمعتدي

وقال ايضا

فأجمل منك لم ترقط عيني * واكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبراء من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

امين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضئ لليلة البدر

ونظرت اليه عايشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت

كأنّ اباكثير الهذلي اياه عناك بقوله *

واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا وروي ان بعض الصحابة لقي راهباً فقال صف لي محمداً كأني انظر اليه فأني رايت صفته في التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة ابيض اللون مشرباً بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد ادعج العينين اقنى الانف مفلج الثنايا كأنّ عنقه ابريق فضة وجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد القيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه احبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهراً وباطناً فكان احسن خلق الله خَلقا وخُلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه راى يوسف ليلة الاسرى وقد اعطي شطر الحسن وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا ابردتم بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن ابي مليكة يرفعه من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يا رب اي عبادك احب اليك قال مؤمن حسن الصورة فقال اي عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عايشة رضي الله عنها انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من اصحابه على الباب فجعل ينظر في المرآة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يا رسول الله

وانت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليجمل نفسه فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه ما يكرهه مما يمكن ازالته ما يمنع احدكم اذا خرج من منزله ان يتعاهد اديم وجهه * فصل قوله تعالى ولقد خلقنا الأنسان في احسن تقويم اى في احسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته منتصباً يتناول ماكوله بيده مزيناً بالعقل لاكالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني احسن من هذا القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى به من هو اعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الأنسان في احسن تقويم وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن والوجه الحسن ولهذا قال ابو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا * والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذاراً * تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد في الخلق ما يشاء

وحكى عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن وجهي * وحكى ان المامون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه الكن فأمر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره والاخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيراً ما يتلازمان ولذلك فزع اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكما قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال

عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه فهذا كله
يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده
بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله
تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من
الافات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما
تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا واصلا لا ينعكس
واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر اهل زمانه بحسنه
واحسانه فاذا نظرته اول مرة رأيته احسنهم صورة وانقهم بنية
فهو اولاهم مرتبة واعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب
الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازي
في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه
فان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة
من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة
افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لا محالة
ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن
السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع من البلايا منها ان اباه
كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن في
اسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم
الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم
لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لا تبقى الا اياما قلائل
واما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته قلت وكم من
حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر ابن

الخطاب رضي الله عنه مرّ ليلا فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم فرأه احسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال لا تساكني في بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضي الله عنه فلما ودّعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتني قتل نفسي فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما ابعدك لكن اقول ما قال شعيب عليه السلام ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطائك ليكون ذلك عوضا لك اقول ذكرت بحلقه شعره فكان احسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك

حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحّا

كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وابقوه صبحا

وما احسن قول السراج الوراق في مليح قلندري

عشقت من ريقته قرقفا * وما له اذ ذاك من شارب

قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب

سلطان حسن زاد في عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب .

وقال ابن سنا الملك

حكيت جسمي نحولا * فهل تعشقت حسنك

وكان جفنك مضنى * فصرت كلك جفنك

وزادك السقم حسنا * والله انك انك

فصل قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فنذكر هاهنا ما قاله الشعراء في تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم اكثروا في ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والثغر ...

بالميم والصاد والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن
احسن ما قيل في ذلك قول محاسن الشوا

ارسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فأعيى بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى الف ليست لوصلى وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقول الآخر

يا سين طرتها وصاد عيونها * انى اعوذها بسورة طه

وقول ابن مطروح

قالت لنا الف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقول ابن نقاده

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال ينقط
والميم فوها فالحروف تألفت مكتوبة والصبر عنها يكشط

وقول الأخر

لاتقل لى لا فمكتوب على * وجهك المشرق نورا نعم
بحروف صورت من قدرة * ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين احمد بن الخيمى

ان صدغ الحبيب والفم والعا * رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما * تم حسنا وبالعذار التمام
غير أنى اراه وصل وداع * فيه يقضى افتراقنا والسلام

وقلت انا

حبيب تغالى قده حين سمته * وقال قوامى رمحه ما يقوم
وخط عذارى اعجم الخال لامه * ولم ادر ان اللام فى الخط يعجم

وقلت ايضا

يرنوا الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

وقلت ايضا في عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء في
تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

فكم الف بها امسى * رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية الـ * ـكتاب تخالها طره
وعين أصبحت في العيـ * ـن مثل العين والنقره

وقلت ايضا في تقريظ كتاب ورد علي من بعض الاحباب من رسالة
افتتحها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا علي * فلا تعجب لدمعي ان توالى
ووافاني كتاب منك عال * حكت الفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رايت له مثالا
لئن امست به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم الف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا * وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خد * وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاآت فيه * يعلم لينه الغصن الكمالا

وقال القاضي الفاضل من رسالة كتب بها الى موفق الدين
خالد القيسراني وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها
فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمائم * ومن لامات بعدها
تحسبها اتكت على عناق قدودها النواعم * ومن صادات نقعت
غلة القلوب الصوادي والعيون الحوائم * ومن واوات ذكرتنا
في وجنة الاصداغ من المنعطفات * ومن ميمات دنت لا افواه
من ثغرها التي تجني او ترشفت * ومن سينات كانها الثنايا
في تلك الثغور * ومن دالات دالة على الطاعة لكاتبها باخفاء
الظهور * ومن جيمات تانسنا سر تصيد القلوب التي تخفق بروح
الاستحسان كالطيور * وشينات تشبي الانفس وتلد الاعين

وخالد فيها خالد * وتحيته فيها المحامد * ويده تضرب في ذهب ذائب * والناس تضرب في حديد بارد * الباب الثاني

في ذكر المحبين الظرفا * من الملوك والخلفا * اقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا * واطولهم باعا * واطيبهم عيشا * واكثرهم طيشا * وارقهم شعرا * وادقهم فكرا * واقربهم رجوعا * واكثرهم بالحبيب ولوعا * اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك * واحقهم بالنوم على تلك الارائك * وذلك بحسب ما سولته لهم نفوسهم * وزينته لهم جليسهم * كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا * ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهدا * وستاتي حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من اصبح دونه في العفاف * واقام سالف محبوبه مقام السلاف * ومنهم من خلع العذار * واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع ما بين ذات العقود * وابنة العنقود * ولكن مع صيانة * ورجوع الى ديانة * [illegible] ان طال به المجلس اختصر * وان جنى فيه على محبوبه اعتذر * كما قيل

ان اكن قد جنيت في السكر ذنبا * فاعف عني يا راحة الارواح
اي عقل يبقى هناك لمثلي * بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظوره * واخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صوره * فجارى النديم في الجريال * وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال * فافضى به ذلك الى هلكه * وفساد ملكه * كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد

الامين يوما للناس وعليه طيلسان ازرق وتحته لبد ابيض فوقع في ثمانماية قصة فوالله لقد اصاب وما اخطأ واسرع فما ابطأ ثم قال يا ربيع اتراني لا احسن التدبير والسياسة ولكني وجدت شم الأس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نفاس اشهى الي من مقابلة الناس وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة والذي اراه طلاق ما ذهبوا اليه بالصريح * ومفارقة الجميع على وجه مليح * كما قيل

نو راى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه مليح

وما احسن قول ابي الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا   فاحكم على ملكه بالويل والحرب

اما ترى الشمس في الميزان هابطة   لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع في ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا له كالمملوك وهم في ذلك لشدة الباس * على خلاف ما عليه الناس * وذلك لأن العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين في المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيها الحب ما الذ لي الهوى * ولم يك لولا الذل في الحب عزتي

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة * فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس في القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان

فكما العقل واحد ليس يدري خالقا غير واحد رحمن

فكذا القلب واحد ليس يهوى غير فرد مباعد او مدان

وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

هو في شرعة المودة ذو شرك * بعيد من صحة الإيمان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبة كالرشيد وغيره كما يأتي بيانه في بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم * واختلاف الشكل عليهم * كما قيل

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود النضه * والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة * نعم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما اكثر ما يظهر من امر الملوك ان يضعوا محبوبهم في مقام مالكهم وهو مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركه جائر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا فوق ترب * للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر * اذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جواري

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء المغرب واجاد

عجبا يهاب الليث حد سناني * واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطاني
فابحن من قلبي الحمى وتركنني * في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني

ماضرّ انى عبدهنّ صبابة * وبنو الزمان وهنّ من عبدانى

قلت وكم مثله من ملك قاهر * وسلطان قادر * تذل لهيبته الأملاك * وتذعن لسطوته الفتاك * هدم الهوى اركانه * واذل عزه وسلطانه * فقصر جفنه فى الليالى الطوال * واوقعه مع عقله الحسن فى اسر الأعتقال فقال

اما يكفيك انك تملكيني * وان الناس كلهم عبيدى
وانك لو قطعت يدى ورجلى * لقلت من الرضى احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان كان السلطان ابو عبد الله محمد ابن السلطان الغالب بالله احد ملوك الأندلس جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين رايته مرارا بغرناطة وانشدنى شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر ومن شعره

ايا ربة الخدر التى اذهبت نسكى * على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال الملك الامجد

من مثلى فى عصرى * بستانى فى قصرى
معشوقى مملوكى * غنّالى من شعرى

وقال الملك الظاهر فى مملوكه ايبك الجمدار

انا مالك مملوك ظبى اغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وانا الغنى وانني من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

وقال الملك الاشرف فى مملوكه وكان خانداره دوبيت

اقد قمرا تحار فيه الصفة * يسخو بدمى وهو امين ثقة
ماذا عجبا يحفظ مالى وبرى * روحى تلفت به ولا يلتفت

وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها فى الباب الاول من نقل الكرام

في مدح المقام وذكرت فيه ايضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما بان
فيها عنه من حسن السيرة وهي من اغرب ما يحكى عن الملوك وقال
الملك تميم

بالله جدلي بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني اظل اشكو * مثل محياك ليس يشكا

وحكي عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنيه وكان كلفا
بها فاعرض عنها واعرضت عنه ثم استميله الغرام واقلقه الشوق
حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها
فلم ترد عليه فانشا يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يزري محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام * ولكني بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتليني * فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا امير المؤمنين والدك امير المؤمنين هارون الرشيد
اعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الابيات
المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان
وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون ايضا يوما غلاما مليحا
لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتحا لبلوائي * ويا عليما بطول شكوائي
الحمد لله لا شريك له * مولاك عبدي وانت مولائي

فبلغ ذلك احمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كلما يصلح للمولى
على العبد حرام وقعد والده الرشيد يوما عند زبيده وعندها
جواريها فنظر الى جارية واقفة على راسها فاشار اليها ان
تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتلت من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه

فما برحت مكاني * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها واقام معها اسبوعا لا يدري مكانهما فكتبت اليه زبيده

وعاشق صب بمعشوقة * كانما قلباهما قلب
روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

وحدث ابو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصر له اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين انك قد هجرتني مدة ولم يكن عندي علم بموافاتك فانظرني الليلة حتى اتهيأ للقياك وآتيك في غد فلما اصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسالها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشي وابو نواس فامرهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون اخره كلام الليل يمحوه النهار فانشأ الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب

اتعذلني وقلبي مستطار * كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فوادي * بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها * لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس

وخود اقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا * فقامت ها على المعنى اعتذار
وقالت في غد فمضيت حتى * اتى الوقت الذي فيه المزار
وقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك اكنت مطلعا علينا او ثالثنا في القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما في نفسك وعبرت عما في ضميرك فامر له باربعة الاف درهم ولصاحبيه مثلها وذكرت هنا ما قلته في ابن نهار

اقول الموعدي زورا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زبد * اذا طلعت عليه الشمس ذابا

وقلت

ابيت ريان الجفون من الكرى * وابيت اسهر فيك مع سمار
وتلوم ان اصبحت في يوم الجفا * مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

حكي انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الفتيان فكان المتوكل يحبه جنونا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقي من شهوته وكان قد اسن فاحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتخمش اخص خدمي بحضرتي فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشي في قراطق كالورد
تمنيت ان اسقي بعينيه شربة * تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهراً لم ابت فيه ليلة * خلياً ولكن من حبيب على وعد
ثم دفعها الشفيع فاعطاها للمتوكل فاستملحها وقال احسنت
يا حسين ولوكان شفيع ممن يجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي
يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان
شفيع المذكور يكتب على طراز قبابه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه * في صفحة القمر المنير

ومن غريب ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك ابن مروان كان صباً
بحبابه جاريته فخلا يوما في لهو معها وقال لاكذبن قول من
قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوماً واحضر حاجبه وقال له
لا تأذن لاحد يدخل على ولا تعلمني بخبر ولوكان فيه ذهاب
ملكي مدة هذا اليوم واقام معها في اتم حال فتناولت رماناً
فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه
وبين الصبر ومنع من دفنها حتى ساله جماعة من بني امية في
دفنها ولاطفوه في ذلك فامر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة ايام ومات اسفاً عليها
ومثل فعله هذا في عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته في نقل الكرام
في مدح المقام في الباب الرابع عن السلطان جلال الدين
خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج ومنع من دفنه فكان يحمل معه
في محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج
فقال له بعض الامراء ايها الملك قد مات قلج فضرب عنقه
فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها في الكتاب
المذكور ✲ الباب الثالث في ذكر من عشق على السماع

* ووقع من النزوع الى الحبيب في النزاع * اقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى * فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى * فاصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين * وشهد على عينيه بما لم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعرتين كم ليلة رقص فيها على السماع * وجمعة سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع * فهو اعلا طبقة ممن عشق باللمس * او غيرها من بقية الحواس الخمس * والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر * او تعارف سابق في عالم الذر * كما قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس * واحسن في الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سنوتها ... تسري الى النفس او تجري مع النفس
وما لها اخر لكن اولها ... تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر ناجاني البشير بها ... اهلا بيتها طهرا من الدنس
اشهى الى القلب من امن على وجل ... ومن مجال الكرى في الاعين النعس

قولي لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى اخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق في بعض الصفات لا بد من هذا ولهذا اغتم بقراط حين وصف له رجل من اهل النقص انه يحبه فقال ما احبني الا وقد وافقته في بعض اخلاقه ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سال عايشة رضي الله تعالى عنها عن امراة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امراة تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

وانشد بعضهم

تعارف ارواح الرجال اذا التقوا ... فمنهم عدو يتقى وخليل
وقال ابو تمام

[illegible]

الطبيعة ولا في القياس ولا في الحس ولا في الممكن ولا في الواجب
ان يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذي ذكرناه
من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من احب من لا يحبه
ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك اجوبة احسنها ان يقال
المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك
فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيراً الا اذا كان
له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل
والمرأة لان لكل منهما غرضاً مع صاحبه والقسم الثاني محبة روحية
سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من
الجانبين ولا بد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد
عنده من محبته نظير ما عنده او فوقه او دونه وذكر بعضهم ان سبب
المحبة ثلاثة اشيا اما رؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة
فهذه الثلاثة هي اصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب احد من ان يستند
الى شئ منها وقد قيل

ثلاث محبات فحب علاقة * وحب تملاق وحب هو القتل

واحوال الناس تختلف في ذلك فمنهم من يحب بمجرد الوصف دون
المعاينة فيفنى بمن وصف له محبة وما رآه ولكن وصفه وصف
كما قيل

فاتني ان ارى الديار بطرفي * فلعلي ارى الديار بسمعي

اخذه القاضي الفاضل فقال

عللوني عن الشام بذكرى * ان قلبي عليه بالاشواق
مثلته الذكرى لسمعي كأني * اتمشى هناك بالاحداق

وقال بعض الحكما ان الله عز وجل جعل القلب امير الجسد
وملك الاعضا فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو
مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده

العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمان شيئاً ولا يطويان عنه سراً يعني العين والأذن وقيل لافلاطون ايهما اشد ضرراً السمع ام البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص احدهما فتحامل بالاخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب وما راى والاصم يحب وما سمع فقال لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحد * جناحيه ولا يستقل طيراناً فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه اقوى وكان يقال الحب اوله السماع ثم النظر كما ان اول الحريق الدخان ثم الشرر * حكي عن ابي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم افهم معانيها ولكن * شجت قلبي فلم اجهل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشاراً اخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه ابو يعقوب الخزيمي فقال

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسي فداؤك انما * عيني واذني في الهوى سيان

وقال بشار ايضاً الحب مما يتولد بالقلب والفكر وانشد في ذلك

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما احست الحواس الخمس

بواسطة توسطتها النفس وقد قال الخليل بن احمد
ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه * وناظر القلب لا يخلو من النظر
وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وانت اعمى * ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤا * د وانت لم تنظره سهما
ومتى رايت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباي جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى * وبه تتم اذا استتما
فاجبت اني موسوى الـ * ـعشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما * ع ولا ارى ذات المسمى

وقال المذنى

ايا من لامني في حبـ * ـب من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصف * ك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ * ـة يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها

واني امرؤ احببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وقالت لي الامال ان كنت لاحقا * بابناء ايوب فانت الموفق

وقلت انا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسنا وفيه زيادة حسنة مطلعها

وحيا وجهك وهو بدر مشرق * قلبي عليك كما علمت مشفق
يا من اذا ما لاح آس عذاره * امسى ولي بالعيش غصن مورق

ملاح خدك بالعذار مكاتبا * الا ظننت بانه لى معتق

ومنها

كم ذا رقصت على السماع بذكره * والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى فى محبة من لا راه لكن وصف له ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث فى الصحيح قال فى الواضح المبين * ومنهم من يعشق اثرا راه كما يحكى ان رجلا عشق اثر كف امرأة رأه فى حايط فلما ايس اهله من صلاحه تركوه حتى مات * ومنهم من يحب فى النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت * اطلعة الشمس كانت ام هى القمر
اظنها العقل ابداها تدبره * او صورة الروح ابدتها الى الفكر
او صورة مثلت فى النفس من املى * فقد تحير فى ادراكها البصر
او لم يكن كل هذا فهى حادثة * اتى بها سببا فى حتفى القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة ومنهم من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره * كذاك يعشق فيك الانف والاذن

ومنهم من اخبرنى انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هى فاخذها واقامت عنده زمانا وأضنا من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة وسمعت غيري * يقول سلمت من تلفى بشعره

ومنهم من يعشق جنية راها فى نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابن الفرج الاموى ان جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع فى النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا

شديدا

شديداً وكان جعفر خليعاً ماجناً ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال واى مستصلح فيه واى غاية لم يبلغها فى الفساد فقال ويلك وباى شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد فى خطبتها وداب جمع اصحاب العزايم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولاهزل ولاكفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجنى فى الحى طلل * دارس الآيات عافٍ كالخلل

قلت هذا الذى يقال فى حقه الجنون فنون * ومثل هذا ما اخبرنى به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال قال الثعالبى فى فقه اللغة زعموا ان التناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم فى الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن النساء بنى ادم * فصل فى ذكر ما ينخرط فى سلك العشق على السماع والشهادة على الغايب كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصورى

يا أبى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتى لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

وما احسن قول الاخر

اهيم الى العذب من ريقه * كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقيناً ولكن من الغيب غيب

وقال بشار بن برد

يا اطيب الناس ريقاً غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك

وقال المتوكل الليثى

كأن مدامة صهباء صرفاً * ترقرق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال امرؤ القيس

وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما اكتتم

وقال ابن حمديس الصقلي

وما ذقت فاها ولكنني * نقلت شهادة عود الأراك

وقال البها زهير

فتنت به حلواً مليحاً فحدثوا * بأعجب شيء كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه ولم ار عدلاً وهو سكران يطفح

وقال ابن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لي * لو انه صادق الحلاوه

قلت وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوماً على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القراءات فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته فيه ماهراً ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فاتيت في بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقاً فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت اروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية فقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في تعزاء ما يعطي لاحد الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت اعظم الله اجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل

لابد منه فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ابنك
قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال
حبيبتى فقلت فى نفسى هذه اول المناحس ثم قلت سبحان الله
النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على احسن منها فقال
وكانى بك قد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية
ثم قلت وكيف عشقت من لا رايته فقال اعلم انى كنت فى الطارمة
واذا برجل عابر وهو يغنى ويقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اين ما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما قيل
فيها هذا الشعر فهويتها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل
وهو يغنى ويقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت فى العزاء ثلاثة ايام بهذا اليوم
قال الجاحظ فعادت عزمتى وقويت همتى على ترك تقطيع الدفتر
بحكاية ام عمرو ※ الباب الرابع فى ذكر من نظر
اول نظرة * فاحترق من جمر الحبيب بجمرة * اقول هذا باب عقدناه
لذكر ما اوقعه النظر * فى الضرر المودى الى السهر * اذ هو داعية
الارق * وزناد الحرق * كم دعى الى الحمام * المحرم بالاجماع *
فهو سهم مسموم * وفعل مذموم * وفى مبداه يمكن استدراكه
* واسيره يرجى فكاكه * فاذا تكرر ادى الى ما صورته كيت
وكيت * اما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى اعين العين موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

قد ارالبيت تمه فى الصفحة الصاعق

قولي وفي مبدئه يمكن استدراكه الى اخره وذلك ان الرجل تمر به المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبع فتحرك نفسه وتنبعث همته من اول نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذى به اضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع فى اسر حبالها ودخل فى عدد العاشقين وهذا مما يويد قول من ذهب الى ان العشق اختيارى لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما ندر كما تقدم فى ذكر النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام ففتن من اول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال رب عشق غرس من لحظ وحرب جنى من لفظ وكان يقال من اطلق طرفه كثر اسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال اعرابى العشق نبت بذره النظر وماؤه المزاوره ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجنى وقال الصورى

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته * واهملته مستأنسا متسامحا

ولم تدر حتى اينعت شجراته * وهبت رياح الوجد فيه لواقحا

فامسيت تستدعى من الصبر عازبا * عليك وتستدعى من النوم نازحا

وقال الاصمعى كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها ارسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشأت تقول

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

ثم نظر اليها اعرابي وقال انا والله ممن قل صبره وانشد

اوحشية العينين اين لك الأهل * ابالحزن حلوا ام محلهم السهل
واية ارض اخرجتك فأنني * اراك من الفردوس ان فتش الاصل
ففي خبرينا ما طعمت وما الذى * شربت ومن اين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل

اقول هذا والله هو السحر الحلال * والعذب الزلال * وقد اشتمل على مذهب السحر الكلامي * والبدر السامي * فكأني بها وقد ذكرت له الاهل * ووصفت من جبها وخدها الحزن والسهل * هنالك يأتيها سعياً على الرأس لا سعياً على القدم * وتكون وجناتها احب اليه من حمر النعم وينشد

اريني مكان البدر ان افل البدر * وقومي مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها * وليس لها منك التبسم والثغر

حكى انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله مني * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا * واوله شبيه بالمزاح

قلت وفي هذا دليل على ان العين هي التى تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهي لما كانت العين رائده ومحبة القلب رائده وهذه لها لذة النظر * وهذا له لذة الظفر * كانا في الهوى شريكي عنان * وفرسى رهان * فلما وقعا في السهد والحرق * واضر بصاحبهما الأرق * قال القلب يقول لا رجعاني * لطرفه الجاني

تمتعتما يا مقلتي بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد
اعيني كفا عن فؤادي فأنه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقال ابو الطيب المتنبي

وانا الذى اجتنب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

وقول الآخر

عوقب قلبي وجنا ناظري * وربما عوقب من لا جنى

وقول الاخر

نظر العيون الى العيون هو الذي * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
ما زالت اللحظات تغزو قلبه * حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الاخر

يا من يرى سقمي يزيـ * ـد وعلتي اعيت طبيبي
لا تعجبن فهكذا * تجني العيون على القلوب

وقول ابن مدرك

جرحت بلحظي خد الحبيب * فما طالب المقلة الفاعله
ولكنه اقتص من مهجتي * كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده * وفهمت مراده * اشارت اليه * واخذت في الانكار عليه * فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم * واخرس يتكلم * أليس من الخبر الذي شاع وذاع * انك انت الملك ونحن الاتباع * ترسلني فيما تريد كالبريد * وتسب ذلك بالتهديد * اما سمعت قول ابي هريرة رضي الله عنه. القلب ملك والاعضاء جنوده * فان طاب الملك طابت جنوده * وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبي وذنبك اذ ذاك كما بين عماي وعماك وقال علام الغيوب * فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب * فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال * قالت في الحال

انا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوى الـ * ـقلب والمقصود حتفي

وقال اخر
يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا * تبكي وانت الذي حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه * بل انت حملتني الامال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه * كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تعتبا فلقد * قطعتماني بما لا فيتما قطعا

وقال اخر
عاتبت قلبي لما * رايت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي * وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي * بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا * تركتماني قتيلا

قلت فكانا كما تقول العامة قفا بين صفاعين وما احسن قول الاخر
فوالله ما ادري انفسي الومها * على الحب ام عيني القريحة ام قلبي
فان لمت قلبي قال لي العين ابصرت * وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي * فيا رب كن عونا على العين والقلب.

قلت والحاكم بينهما الذي يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد في الخبر * عن سيد البشر * لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلايق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التي حركتني وامرتني وصرفتني والا فانا لم اكن اتحرك ولا افعل شيئا بدونك فتقول الروح له وانت الذي اكلت وشربت وتمتعت فانت الذي تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى مشى دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئا فقال المقعد تعال فاحملني فانت تمشي وانا اتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك انتما *

فصل في ذكر سحر الجفون * ونبل العيون فمن ذلك قول بشار وهو اغزل بيت قالته الشعرآء فيما حكاه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان

انا والله اشتهي سحر عينيـ ـك واخشى مصارع العشاق

ونقل شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما اعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا * ك لقلبي فاجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

وانشد صاحب المرقص والمطرب

لولم امت باللحظ قال العذل * ما قيمة السيف الذي لا يقتل

وقال ابن سهل الاشبيلي في مطلع موشحه

الحاظها للقتل * في كرها او في نصيب
ترمي وكلي مقتل * وكلها سهم مصيب

وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك

بابي اهيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي
قد حمى خده بسور عذار * مقلتاه اضحت عليه مرامي

فصل في وصف العيون الضيقة وغيرها قال ابن النبيه

يصد بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال ايضا

فمن لي بتركي لين عطف قاسي * قلبه سهل الخداع صعب المراسي
ضيق العين [illegible] فاذا جاد كان ضد القياس
يصرف [illegible] [illegible] بنرد طره من آس

ورمى عن قوسين سهمين هذا * في فؤادي وذاك في القرطاس

وقال ابن قرناص

علقته تتريا * يشجي القلوب ببينه
لا يرتجي الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته

بهت العذول وقد راى الحاظه * تركية تدع الحليم سفيها
فثني الملام وقال دونك والاسى * هذي مضايق لست ادخل فيها

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

لي منهم رشاء اذا غازلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

حكى الحرايطي عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هاني وهو ينشد

ويلي على كحل العيون * النهد الضمر البطون
الناطقات على الضمير رلنا بالسنة الجفون

فوقف عليه اعرابي ومعه ابن له فقال اعد علي فاعاد عليه فقال يا ابن اخي ويلك انت وجدك من هذا وويلي انا وانت وويل ابني هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم وقل سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة * من اجلها قيل للاغماد اجفان

وقال رشيد الدين الفارقي

ان في عينك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لي من مشته * سهما في قلبي منه

وقال محمد بن نعيف التمساني

خضت سيا ذكور فانها * كما زعموا مثل الأرامل تغزل

وله ايضا

يا عاشقيا رحب ا نزر ... متبسما عن ثغره

فطرفه الساحر مذ * شككتم في امره
يريد ان يخرجكم * من ارضكم بسحره

وقال ايضا

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * تمنى مثله الرشاء الربيب
رمى فاصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

وقلت انا من قصيد

حبيب نازل في كل قلب * وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل * ولا سيما اذا ابدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه * رايت الموت من ماضيه حالا

وقلت ايضا من قصيد

تغار الشمس منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود

وقلت ايضا من قصيد

الست تواحظ على اهل الهوى * ان لا ترى قتلا بغير مهند
يرنو واصارم لحظ في جفنه * ماضي الغرار ولم يمس باثمد
فاذا تجرد للمحب فلا تسل * عن سيف جفن كالحسام مجرد

وقلت ايضا من قصيدة

غزال غزاني باللحاظ لانه * اذا ما بدى في حومة الحرب ضيغم
تكلمني الحاظه بسيوفها * ولم ير قبلي ميتا يتكلم

وقلت من قصيدة

تسل سيوفا من لواحظ طرفها * ولكنها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح * فما ننثني الا وسيحان جامد

وقلت ايضا من قصيد

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
امير حسن من الاتراك حاجبه * على المحبين في قصه سلطان

غزت لواحظ فی اهل مصر کما * غزا الانام بارض الشام غزان

واما الحور فقد اختلف الناس فیه فقال ابو عبیدة الحوراء الشدیدة بیاض العین فی شدة سواد سوادها وقال یعقوب الحور سعة العین وکبر المقلة وکثرة البیاض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العین ام کبرت وقال ابو عمرو الظبیة الحوراء السوداء العین التی لیس فی عینها بیاض ولا یکون هذا فی الانس انما یکون فی الوحش واشتقاق حور یدل علی صحة ما قاله یعقوب وابو عبیدة لانهم انما یوقعونه فی الغالب علی البیاض مثل الدقیق الحواری للدرمك الشدید البیاض وقلما یتفق بیاض العین الا مع شدة سوادها لان بیاضها مع الزرقة لیس هنالك فی النقاء وقد اکثر الشعراء فی وصف العین بالحور والسواد وقل فی شعرهم وصف العین الزرقاء علی انه جاء فی حدیث عائشة رضی الله عنها عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال الزرقة فی العین یمن وقال بعض العرب

احبك ان قالوا بعینك زرقة * کذاك عتاق الطیر زرق عیونها

ومن هنا اخذ العبدی قوله حین قال له معاویة انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازی ازرق

الباب الخامس فی ذکر تغیر الالوان * عند العیان * من صفرة وجل * وحمرة خجل * وما فی معنی ذلك من عقد للسان * وسحر البیان * اقول هذا باب عقدناه لذکر تغیر لونی المحبین * اذا وقعت العین فی العین * وهرب الدم الی شبکة الدماغ فقال له الحاجر الی این * وقد نصت الاطباء علی السبب فی ذلك * وجعلوا من صفرة المحب واحمرار المحبوب سواد کل حالك * وانا اوردهنا ما قالوه بنصه * من عوز کالخاتم بفصه * واعقبه بذکر الوان الحسان * باحسن

بيان * واوضح تبيان * هذا مع ما يجري في ذيل ذلك من التفضيل
بين السمر والبيض * ووقوع محب السمان من الشعور والارداف
في الطويل العريض * واختم ذلك بفصل في ذكر ما يعتري المحب
من خفقان قلبه * وطيران عقله ولبه * فاقول وبالله التوفيق
قال بعض الاطباء سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان
الدم لا يأوي مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجاءة
فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت بردا لتامور
فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة
ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل
عرض من حركة تامور القلب فتحيل الدم وتلطفه فيظهر في ارق
مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضيه ومجاهدتها
الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس فيمنعه
الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه
الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر
ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حايك ديباجا

وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة
وصفرة لونه يولدها الفزع والبوس والغم والسقم واما احسن
الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه
وافضل الياقوت والخز الاحمر واجود الذهب احمره وافضل
العسل الذهبي والياقوتي وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم
الخيل اشقرها وهي ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لو ان لي حمر
النعم ولو ان لي طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار الورد
والشقايق والجلنار واحسن الحلل المصبوغة المعصفرة واحسنه

ماكان صبغه القرمز واحسن الخمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعقيق واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتني [illegible] بن عبد المطلب ابا لهب وكان يكنى قبل ذلك ابا عتبة لانه كان من احسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار [illegible] بالنار لانه كان مشرق الوجه متلهبه [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] باصفر لصفرة كانت في وجهه [illegible] في وجنته الحمرة وروى عن [illegible] [illegible] واحمر [illegible] والاحمران [illegible] والاحامرة الذهب [illegible] قال الشاعر

ان الاحامرة [illegible] [illegible] قدما مولعا
[illegible] [illegible] [illegible] وان لم [illegible]
[illegible] [illegible] الاحمر [illegible]
[illegible] [illegible] احسن [illegible]
[illegible] [illegible] الله عليه [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الشاعر

[illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] دون [illegible]
[illegible] [illegible] تضرب فيه الصفرة
لطول [illegible] [illegible]
وما [illegible] عن [illegible] صفرته [illegible]

وقال [illegible]

كأن لون البيض في الادحي [illegible] الاصفر [illegible]

يريد انها تضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك
صفرة وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى
بيضاء وبالعشا صفراء قال الشاعر

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشية كالنهار

وقال بشار بن برد

فخذي محاسن زينة * ومعصفرات هن الحمر
فاذا بلغنا فادخلي * في الحمر ان الحسن احمر

وقال الحريري في درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب
ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة
المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا * فاعلم بان هناك موتا احمرا

واحسن زينة النساء في اجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه
الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك قال ابو نواس فيه

يا قمرا ابصرت في مأتم * يندب شجوا بين اتراب
يبكي فيذري الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن عكاشة

من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طوقت عنابا

وما احسن قول الواوا الدمشقي

فاسمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال المرزباني قال لي ابن دريد سهرت ليلة فلما كان اخر الليل
اغمضت عيني فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسجا دخل علي
واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر
فقلت ما ترك ابو نواس لاحد شيئا فقال انا اشعر منه فقلت
ومن انت فقال انا ابن ناجية من اهل الشام وانشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا * عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقلت اسأت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمراء ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقايق فاخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض ثم انصرف وقال المتنبي

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

اخذه الاخر فقال

قالت لترب معها منكرة * لو قفتي هذا الذي نراه من

قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن

وقال ابن النبيه

وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمى اخورارها

وقال عماد الدين ابن دبوقا من ابيات

ارى العقد في ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعي غدا احمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعت رشادي بغي الهوى * لاجلك يا طلعة المشتري

وقلت انا من قصيد

لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو * ولا ثغر الا دون تقبيله ثغر

ولا بيض الا اسود حظي عندها * ولا سمر الا دون اعطافها السمر

وقال بدر الدين ابن المحدث

يصفر لوني حين انظر وجنة * منها تعلم حسنه الورد الجني

يفني الزمان وليس يفني حبه * وقد انحنيت وما اراه ينحني

حكي عن ابي ايوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على امير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت

اليه فقال مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك تناظرا فقال
البازي للديك ما اعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف
قال تؤخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك
باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك احد الا طرت من ههنا
الى ههنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين ثم طرت
منها وتركتها وصرت الى غيرها واما انا فاؤخذ من الجبال وقد
كبرت فتخاط عيناي واطعم الشيء اليسير واساهر فامنع
من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدي
فاطير اليه واخذه واجيء الى صاحبي فقال له الديك ذهبت
عنك الحجة اما والله لو رايت بازيين في سفود ما عدت اليهم
ابدا وانا في كل يوم ارى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن
حليما عند غضب غيرك وانتم لو عرفتم من المنصور ما اعرفه
لكنتم اسوأ حالا مني عند طلبه لكم قلت والذي هرب منه
وتم نيته على الصحيح الاسم ولم يزل يصغر منه حتى اذاقه الموت
واخر هذا بعد ان اخذ امواله وتركه في اسوء حاله حكى انه
كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا
رآه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من ابي ايوب وما افاده ذلك
شيئا لانه قدر ما نزل * ووقايته مما ليس يقبل * فصل
في التفضيل بين البيض والسود * والسمر ذوات النهود * وهذا
نوع آخر مما اليه المتصرفون في الغالب * وللناس فيما
يعشقون مذاهب * ومما قيل في تفضيل السمر

اني لاعشق لا اعشق من سمن * لكني اعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ اركب المهر الخفيف * يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

وقيل ـــــ في تخيلهم

وعائب السمر جهلا * مفضل البيض ذي جهل

فوتوا

قولوا له دعنا اما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

وقال ابو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقال الشريف الرضي في تفضيل السود

احبك يا لون السواد فانني * رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رما
اذا كنت تهوى الظبي الميّ فلا تلم * جنوني على الظبي الذي كله لما

وقال مسلم

لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال اقوام وما علموا * اني اهيم بشخص كله خال

وقال ابن رشيق

دعابك الحسن فاستجبي * يامسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب

وقال اخر

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

وقد ذكرت بقية ما قيل في هذا النوع من مقاطيع الحسان في السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله واما ما قيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد * او يمتد اليه ساعد لساعد * قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن اصل ما يبنون عليه امرهم ذمه قال كشاجم

يا مشبهاً في فعله لونه * لم تعد ما اوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

واما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب كل منثور ومنظوم قال الشاعر

وانت التي حببت كل قصيرة * الي ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

والبحاتر هن القصار الغلاظ وقال بعض السلف جعل الله البها والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك وما اظرف قول الشريف الناسخ

واحرباه من هوى قصيرة * في الارض منها الف الف قامه
اذا رنى الخفاف طرفها * قال الققفا يا كاتبا لسلامه

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره *

فصل في ذكر ما يعتري المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه قال صاحب روضة المحبين وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجاءة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجاءة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجاه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم يعرف سببه ومن احسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الخطيري

يقول في حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا * ء خفقة يعتريه

فقلت وصالك عرس * والقلب يرقص فيه
ومثله قول الآخر
لا تنكروا خفقان قا * بي والحبيب لدي حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر
وما احسن قول ابن سناء الملك
اما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقي برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجباً * وليس هما سوى قلبي وقرطك
وقال معين الدين
لم انسه اذ قال ابن تحلني * حذراً على من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجباً * ارايت عمرك ساكنا في خافق
وقال آخر
وسكنت قلباً خافقاً * ياساكنا في غير ساكن
وقال الطغرائي
مرض النسيم وصح والداء الذي * اشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والقلب الذي * ضمت عليه جوانحي خفاق
اورد ابن الابار في تحفة القادم قول ابن تقي من ابيات
حتى اذا مالت به سنة الكرا * زحزحته شيئاً وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق
ثم قال نسب بعض اهل عصرنا ابن تقي الى الجفا في قوله
ابعدته عن اضلع تشتاقه ولو قال ابعدت عنه اضالعاً تشتاقه
لكان احسن ثم ذكر بعدها تما فضلوه على قول ابن تقي المذكور
قول ابن الحكم جعفر بن غنان
ان كان لا بد من رقاد * فاضلعي بانة عن وسادي
ونم على خفقها هدوا * كالطفل في هزة المهاد
وقال ابن الاثير في المثل السائر في بيت ابن تقي المذكور

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع * وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع
وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن نقي

اتاني زائراً فحكى الهلالا * واتبعه صدوداً واستطالا
فقلت له تعود فقال لالا * دوام الوصل يورثك الملالا

الباب السادس في ذكر الغيره * وما فيها من الحيره * وقرع سن * ديك الجن * اقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه * والمحبون فيها نوعان * والمضروبون بسوطها ضربان * فالاول يحبه الله ورسوله * ويتم به للعاشق سؤله * والثاني مذموم * وصاحبه ملوم * فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبه * ولا تترك منها حبه * لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيره * مما تؤدي الى فساد الصوره * والحكايات في هذا الباب مشهوره * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله ان تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل اهله وغيرة تدخل النار وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلا وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في اذاه ومساخطه ويستخف

بأمره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان يدعى محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط فى حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث يحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وامته والشئ الذى هو يختص به وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور فى حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار منه وربما اسكته ان امكنه ويقول غيرة الحب تحملنى على هذا وانما ذلك حسد وبغى وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق رسله اخرجوها فى قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه الغيرة انما تحسن فى محبة من لا تحسن المشاركة فى محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الادميين كما تقدم ذكره قال القشيرى قيل لبعضهم اتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه ذلك الجمال عن نظر مثلى قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه وان يعد ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد فى مناقبه وفضائله ان يقال له اتحب ان ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته اعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده ان يسأله النظر اليه وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم انى اسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل انزه ذلك الجمال عن نظر مثلى من خدع الشيطان والنفس وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه ان يجرى ذكره على لسانى وقد وقع بعضهم فى شئ من ذلك

فلاموه فانشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد اسقطت حالي حقوقهم عني
اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا مني انفت لهم مني

وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته ان يزوره مثله وقد لمت شخصا على ترك الصلاة فقال لي اني لا ارى نفسي اهلا ان ادخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الادميين فللناس فيها ضروب * وحسنات غالبها ذنوب * فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب * او سماع انه في الدرب

اغار اذا آنست في الحي انة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقال اخر

تغار من الطيف الملم حماتها * ويغضب من مر النسيم غيورها

وقال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمايه فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من اربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو اغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

والمتنبي اخذه من قول العباس بن الاحنف

لم الق ذا شجن يبوح بحبه * الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك واني بك واثق * ان لا ينال سواي منك نصيبا

ومنهم من يلحق في الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحتري

اني لاحسد ناظري عليكا * حتى اغض اذا نظرت اليكا
واراك تخطر في شمائلك التي * هي فتنتي فاغار منك عليكا

ولو استطعت منعت لفظك غيرة * كي لا اراه مقبلا شفتيكا
خلص الهوى لك واصطفتك مودتي * حتى اغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من ازاره ولبس ازاره

اري الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهي ما حكي عن الحسن ابن زيد امير المدينة انه قال يوما لابي السايب وكان قد جمله وكساه فكان يركب معه في موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فانشده الامير اري الازار على ليلى البيت فقال له ابو السايب بأبي انت وامي من الذي قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السايب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير اين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذي لقي هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبني قضيب في كثيب * تشارك فيه لين وانداج
اغار اذا دنت من فيه كاس * على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه * على بدر يقابله سراج

اخذه المتنبي فقال في ممدوحه

اغار من الزجاجة حين تجري * على شفة الامير ابي حسين

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسي من اغار عليه مني * واحسد مقلتي نظرت اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في جسمي هواه * وامسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

وقال ايضا

اغار عليك من قلبي * وان اعطيتني املي
واشفق ان ارى خديـ * ـك نصب مواقع القبل

وقال الاخر

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس
انى لمن نظري اغار وانني * بك عن سوى من الانام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة ان يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

ربما سرني صدودك عمدا * وطلابيك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

وقال اخر

ولما رمت باللحظ غير محسبها * كما اثرت بالعين توثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم ببعدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول

فلو اضحى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * اغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من تمنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا * اعرضه لاهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري * ودون وصاله ستر الحجال

وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوفة له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد افردت

حكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها
الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعماية
وهو في سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت
الرسالة المذكورة بقولي يقبّل الأرض وينهي ان ديك الجن المذكور
من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاماً له فمن شدة حبه لهما
وغيرته عليهما خشي ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما
فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية
للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس
انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبّل
البرنية المجعولة من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتيّ من شفتيها
واجلت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى * شيء اعز عليّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم اكن * ابكي اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحسنها * وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبّل البرنية المجعولة من رماده وملأ
منها قدحه وبكى وانشد قوله فيه

شفقت زبرد الزمان بعد رد * او ابتلى بعد الوصال بهجره
قمراً انا استخرجته من دجنه * لبليتي واثرته من خدره
فقتلته وله عليّ كرامة * ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

قول هذا الذي يقال له الجنون فنون * فنا لله وانا اليه راجعون

* من فعل هذا المجنون * على انه من ارق الناس شعرا * واكثرهم للمحبوب ذكرا * فمن شعره الفايق * ونظمه الرايق * قوله في الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من خان او ظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته * عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما

اقول صار الطالب مطلوب * وهذا الفقه المقلوب * ما كفاه انه فعل بالاحباب * ما لا تفعله الكلاب * حتى يقول لا واخذ الله من اهوى بجفوته * ويمزج رقة شعره بقسوته * فهو في الخفة والطيش * وقتل المحبوب لا في ايش * ولا على ايش * فمن غلب عليه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه ما فعل * واقام ضربه بالسيف مقام القبل *.

احبابه لم تفعلون بقلبه * ما ليس تفعله به اعداؤه

وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها في الباب الاول من كتابي مرآة العقول ومما ينخرط في سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسيره عند قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعني قلة الغيرة ثم قال واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندماه المختصين به في مجلس انسه وجاريته تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث حتى اتى براس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الراس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك قلت لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ۞ ومثل هذا ايضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية

وفي بعض النسخ [illegible]

الثمن وهي بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان * ذوات الالحان * فقال لها يوماً هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادي قبلني وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات قلت قد استراح والله من هذا الصداع كله وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما الفتها * فان حبيبي من احب حبيبي

وقد بالغ الاخر فقال يتبجح بالقياده

اقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيري قواد على رغم انفه

وما احسن قول ابي الحسين الجزار

قلت لما سكب السا * قي على الارض الشرابا
غيرة مني عليه * ليتني كنت ترابا

وقال نور الدين الاسعردي واحسن ما شاء

تميل الريح بالاغصان لطفاً * كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل ابصرت قواداً يغار

الباب السابع في افشاء السر والكتمان * عند عدم الامكان * اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده * وهزل كل منهما وجده * ذللمحبين فيهما مذهبان * مذهبان فمنهم من اباح اباحته * ورأى في افشائه راحته * ومنهم من رأى كتمانه من الديانه * فحل من مراتب الحب في اعز مكانه * حيث قال

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم من الناس من كتمه * فأراه كتمانه عدمه * ومنهم من افشاه * فوقع فيما يخشاه * ولكل من المذهبين شاهد * وبحر دمع زائد * لا ينجو غريقه * ولا تسلك طريقه * فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر * وسيفين لا بد من قتله بأحدهما على الصحيح الاشهر * كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب

وارحمتا للعاشقين تحملوا * ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

والذي اراه في ذلك كله * وتميزوا به من ظله * ان المحب اذا علم من محبوبه الوفا * وعدم الجفا * فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب * وابداء العلة الى الطبيب * كما قيل

وبح بالسرائر في اهلها * واياك في غيرهم ان تبوحا

وقد طرفا بو جعفر الشطرنجي حيث قال

قل لمن يشتكي انني بك مغرم * ثم دعه يروضه ابليس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء المحب سره الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر قلت بل هو السحر كله * ومعظمه وجله * وقد عرف ذلك من جربه * وادبه الحب وهذبه * وعلى هذا حكاية احمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدي بجعفر بعد ان زوجه بها الرشيد وشرط عليه ان لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما احبت وخاف على نفسه من الرشيد ان يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبي بأن يكتم الهوى * فصاح ونادى انني غير فاعل
فان لم تصلني بحت بالسر عنوة * وان عنفتني في هواك عواذلي

وان كان موت لا اموت بغصتي * واقررت قبل الموت انك قاتلي

قالت منه ما ارادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها * وشكوى ضرها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لي عريب جارية المامون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى الانبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان يحبها جداً وكان ايضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيري فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عيني تبكي حذر البين * ما اسخن الفرقة للعين

ما في الحب ونوعاته * اوجع من فرقة الفين

فقال لي الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدي فكتب على الارض بقضيب في يده

غلب الهوى وتهتكت استاره * والحب خير سبيله اظهاره

فاعص العذول فليس هو لك ناصحا * فالعيش للمستهام جهاره

فحفظت الابيات ورضيت بحكمه ففطنت فريدة فقالت يا سيدي علمت ما انتما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد فعلت خذيها اليك يا عريب فاخذت بيدها فما ملك نفسه حتى انصرف من خلفي مسرعا فقال وبيناهو مرفي بالف دينار * ومنهم من لا يجري ذكر العشق على لسانه البتة * وينسكت حتى كان به السكتة ولم ار في ذلك مما يتنافس فيه المتنافس * احسن من قول ابن قلاقس

كتمت الحب عند العذل رغبة * عنهم عن اصبو اليه واهواه

وقولك اني عاشق فطنوا به * لعلمهم ان ليس يعشق الا هو

وتمنعني من بوحي به * وبي التصريح باسمه *

فيح باسمه من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال ابراهيم بن عبد الله رايت على خد جارية مكتوبا بالغالية

كل يوم اذوب من الم الشو * ق وقلبى من الصدود قريح
لم اجد خلوة اليك فاشكو * ما بقلبى لعله يستريح
ويح قلبى كانه لحد قبر * ضم اعضاء ميت فيه روح

في البيت الثانى من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغى ان لا يعلم به خلا ولا صديقا * ما وجد الى ذلك طريقا * كما قيل

يا موقد النار الهابا على كبدى * اليك اشكو الذى بى لا الى احد
اليك اشكو الذى بى من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم اجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سرى وسرها * سوانا حذارا ان تضيع السرائر

ومن ظريف ما مر بى فى هذا الباب ان بعض العشاق انشد لمحبوبته قول الشاعر

سرى وسرك لم يشعر به احد * الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس الفوادة فانها لا بد ان تدرى بسرنا * وتطلع على امرنا * ومن احسن ما سمعته فى ذم مفشى السر قول الحسين بن بشر

لحى الله امرأ اودعك سرا * لتكتمه وفض الله فاه
فانك بالذى استودعت منه * انم من الزجاج بما حواه

قلت وما يبعد ان يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية النمام

وما اكتم الاسرار لكن انمها * ولا اترك الاسرار تغلى على قلبى
فان قليل العقل من بات ليله * تقلبه الاسرار جنبا على جنب

واين هذا من قول القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم مرت

في جواريها بعروة بن اذينه وهو يغني فقالت لجواريها من الشيخ
فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا ابا عامر انك تزعم انك لم تعشق
قط كيف وانت تقول

قالت وابثثتها سرّي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما القى على بصري

وقالت كل ما ترى حولي من الجوار احرار ان كان هذا الكلام خرج
عن قلب سليم قط ۞ حكي عن احمد بن ابي عثمان الكاتب انه كان
صديقا لابي الفضل عبد الغفار الانصاري فعشق احمد جارية لام
جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سرّه ووصفها له فعشقها
عبد الغفار الانصاري فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام
جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت امّ جعفر لي طبيبا * لتشكائي فضل علم الطبيب
ودوائي واصل دائي لديها * في يدي شادن اغرّ ربيب
خبّروها بانّ نعمى دوائي * كي تداوي مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسالت عن قصته فلما وقفت عليها
وهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا
لسرّي فافسدت عليّ والمفاسد المترتبة على افشاء السرّ الى الغير
كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعرّي

فظنّ بسائر الاخوان شرّا * ولا تأمن على سرّ فؤادا

وقال الصاحب محيي الدين الجزري من رسالة فواعجبا
كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول الفواد
فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون
تترامت الى مهاوي الاسى الظنون * ولو ابديت بعضه اخاف
ان يفطن الناس * وان اقصت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا
يسعه قرطاس * ومن احسن ما سمعته في كتمان السر قول

لئلا يبلغه وكان الامام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

فاني رأيت وشاة الرجال * لا يتركون اديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه امرا في كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرا فافشاه فلمته لاني كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر اضيق

وقال آخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس افشى واضيع

وقال ابو جعفر الشطرنجي

ولا تجزع دبيب اللوم [illegible] * وصير من حشاك له حجابا

فما استودعت مثل النفس سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

وحكى المروزي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قوله لا تفش سرك [illegible] [illegible]

لا تظهرن محبة لحبيب * فترى بعينك منه كل عجيب

اظهرت يوما للحبيب مودتي * واخذت من هجرانه بنصيب

[illegible]ل اسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال احفظته قال بل
نسيته وقال ابن المعتز كم كنت خزان الاسرار ودضياعا
فن [illegible] ذهبت كما تكتم منهبك ومنها
[illegible] القاضي الفاضل وابيات الاسرار
قلبك [illegible] والحديث [illegible] * فقيم بك [illegible] لك سر
[illegible] سيوفهم آفات
[illegible] * وما احسن قول ابن
[illegible] عن ابيات

وصف [illegible] للضيف في صدر محذر
[illegible] فكأنه في لحد محو

[illegible] المسامع كتماني
[illegible] عليه عجيب

ومثله قول الآخر

ما انس لا انس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند في الذى زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم

وقال العباس بن الاحنف

كأن لم يكن بيني وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلى
وانى لاستحيى لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال آخر

نسبت الى ذنب ولم آت مذنبا * وحملتنى في الحب ما لا اطيقه
وما طلبى للوصل حرصا على البقا ولكنه اجل اليك اسوقه

قلت ما يرضى يروح سواء بسواء حتى يسوق اليه الاجل
ايضا ومما قلته انا في هذا المعنى

لم اطلب الوصل من اجلى فديتك يا * من زاد حظى سوادا منه شاماتا
لكن خشيت بان تبلى بعشق رشا * يقتص لى منك والدنيا مكافاة

وقال آخر

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى انه صدقا

وقال آخر

ياسيدى عندك لى مظلمه * فاستفت فيها ابن ابى خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله * فوق ثلاث ربنا حرمه
وانت مذ شهر لنا هاجر * اما تخاف الله فينا فمه

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا اننى لك عاشق

نعم صدق الواشون انت حبيبة * الى وان لم تصف منك الخلايق
قلت هكذا رايته فى غالبها ووقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعته
من افواه اهل الادب اعنى ان قافية البيت الاول عاشق والصحيح
انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة
والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة
الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق
اى محب لغير ريبة وقال ابن رواحة الحموى

ان كان يحلو لديك قتلى * فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب

ان بعضهم انشد شابا كان يحبه

ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد * واقول للرحمن هذا قاتلى

فقال له الشاب اقول هذا اراد ان ينيكنى فما مكنته وقال ابن
سنا الملك من رسالة وانا والله فى امرك مغلوب *
والسبب انى انا المحب وانت المحبوب * ولا اتجالد عليك فاغرك
* واخون حبك * ولا اتصنع عليك فاغشك * واغم قلبك
* اعمل ماشئت فانا الصابر * واقتل كيف شئت فانا الشاكر
* وقل فلى سمع يعشق قولك * والتفت ترآمالى ترفرف حولك
* فافعل فانت المعذور * واستطل فما انا المضرور بل المسرور
* وارجع الى الود الذى بيننا فكل ذنب لك مغفور * وقال
ايضا وانا استعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك * ويمنع عذبك
* ... فى قلبك * ويجعلك ثانى عطفك * ويغيرك على
الوفاء * لست على هجرك جلد القوى * ولا على عتبك شاكى السلاح
وقال ابن التعاويذى الشاعر المشهور

اشكو اليك ومن صدودك اشتكى * واظن من شغفى بانك منصفى
واصد عنك مخافة من ان يرى * منك الصدود فيشتفى من يشتفى

وحكى القاضي ابو عمر محمد بن يوسف الأزدي قال كنت اساير ابا بكر محمد بن داود الأصفهاني ببغداد واذا بجارية تغني من شعره

اشكو اليك فؤادا انت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته * وانت في عظم ما القى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها * وانت يا قاتلي ظلما تحلله

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به الركبان وقال ابو عبد الله

قلبي عليك ارق من خديكا * وقواي اوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه * ظلما ويعطفه هواه عليكا

وقال ابو العلاء المعري

لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

وقال ابن سناء الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * فمرت في العشرين وهي نصاب

وقال ناصر الدين بن النقيب

لقد وجبت عليك زكاة حسن * وفيه كمثل ما في المال حق
فلا تعدل به عني فاني * لمصرفه الفقير المستحق

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

لو لم اكن في رتبة ارعى لها * العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذ لي * خلع العذار ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

وقال آخر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * الله يعلم انني مظلوم

وقال المكرم

الناس قد اتموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي ادري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يقولونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو اجمل من اثم الورى فينا

وقال المتنبي

زودينا من حسن وجهك ما دا * م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا بوصلك الآن في الدنيـا فان المقام فيها قليل

اقول هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه واما الاول ففيه تنفير فليته اراح واستراح * وترك التهكم بالوجوه الملاح * على ان التلعفري اقتدى به في التهكم باحبابه فقال دوبيت

يا تارك ربع الصبر مني مهدوم * ما انت لغائب الوصل قدوم
خف ربك في العشاق وارفق بهم * ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

الباب التاسع في الرسل والرسائل * والتلطف في الوسائل

* اقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب * وشكوى الجوى في الجواب * وهو باب مطروق * نافق السوق * طالما عرض فيه المحب على الرسول * سلعة النحول * لا سيما من عيل صبره * واشتهر امره * فاصبح وهو في البيت طريح * واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح * كما قيل

فيا نسيم الصبا انت الرسول له * والله يعلم اني منك غيران
بلغ سلامي الى من لا اكلمه * اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي * فذاك مني تمويه وبهتان
وكيف اغضب لا والله لا غضب * اني لما رام من قتلي لفرحان
اكل يوم لنا رسل مرددة * وكل يوم لنا في العتب الوان
استخدم الريح في حمل السلام لكم * كانما انا في عصري سليمان
فهو من الهوى على خطر * ومن اقامة الهجر على سفر * لا يقر له

قرار * ولا يصطلي لوجنة محبوبه بنار * لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل * ويقول لا استنشاق السير منه قليلك لا يقال له قليل * ومن احسن ما سمعته في هذا الباب قول الوا وا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجر ان تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

اخذه من قول عمر بن ابي ربيعة من ابيات يصف بها قوادة

فاتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخي عند سورات الغضب

قيل ان ابن ابي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه ومثل قول الوا وا قول الآخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كانك مازح
وان اعرضت عني فقوه مغالطا * بغيري وقل باحت عليه النوائح

وقول الآخر دوبيت

يا للطف اذا لقيت من اهواه * عاتبه وقل له الذي لقاه
ان غضبه الوصال غالطه به * او رق فقل عبدك لا تنساه

وقال ابو فراس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
ادت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين اصحابي

وكان الصاحب ابن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا في كتابي سلوك السنن في وصف السكن وذكرت فيه اشياء تليق بهذا الباب منها قول امين الدين بن عطايا

انا اهوى غصن النقا وهو لاه * وفؤادي بحبه في التيه

يانسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا * ك امينا في حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولي نسيماً * نحو غصن النقا فمن يثنيه

وقال ابن الخياط الدمشقي

يا نسيم الصبا الولوع بوجدي * حبذا انت لو مررت بهند
ولقد رابني شذاك فبالله * متى عهده باطلال نجد

وقال مهيار الديلمي

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحاً وخزاما
وابعثوا لي في الدجى طيفكم * ان اذنتم لجفوني ان تناما

حكي ان نور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم ابو الحسين الجزار فمروا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد هبت الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا في هذا شيئاً قال فما لبث ان قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها * تبدي خفايا الردف والاعكان
وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل اوجه الغدران
ولذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقي احد منا يأتي بمثل هذا فسيروا بنا

وقال علي الصفار

اذا هب النسيم بنشر * ضربت وقلت ايه يا رسول
سوى اني اغار لان فيه * شذاك وانه مثلي عليل

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنياً اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

[illegible]كنا العشاق من اشواقهم * جعو[illegible] [illegible] مولى
فن[illegible] الذي انلو[illegible] * [illegible] سبيه

فقلت انا كأني حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم متيما * وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فانا اقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلى فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين ايضاً في محبوبه النسيم

يا من غدا لي من عدوا * صفعجره الريح العقيم
انري يطيب لي الهوى * ويقال قدرق النسيم

قلت انا كأني حاضر اخاطبه

بالله ان رقا النسيم واخمدت * نار توججها يدا التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله في الريح

وقال القاضي محيي الدين ايضا

شكراً لنسمة ارضكم * كم بلغت عني تحيه
ولكم اطالت بلـ اطا * بت في رسائلها الذكيه
لا غروان حفظت احا * ديث الهوى فهي الزكيه

اخذه صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر فقال

يا طيب نشر هب لي من ارضكم * فاثار كامن لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي

فقلت انا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضي محيي الدين المتقدم عليه

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

وقد ذكرت في النسيم اشيا مليحه في كتابي سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب ان يكون الرسول من اهل الصيانه * وممن يرجع الى ديانه * لئلا يطمع فيصير خليلا * بعد ان كان رسولا * كما اتفق لرسول ابن سنا الملك الذي قال فيه

راح رسولا وجاء لي عاشق * وعاقه عن رسالتي عايق

وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال آخر

راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الى وهو متيم

وهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن امانه * وفى مثله تعذر الخيانه *

وقال المتنبى

مالنا كلنا جو يا رسول * انا اهوى وقلبك المتبول

كلما عاد من بعثت اليها * غارمنى وخان فيما يقول

افسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول

اى عيناها بسحرها افسدت امانة الرسول فى الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجانى

قسما لئن رجع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا

ودرى بحبك انه قد خاننى * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن احسن ما سمعته فى الرسائل والتلطف فى الوسائل ما حكى عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان فى ايام ابيه احب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه ان يجتمع بها ومضى على ذلك مدة ايام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاءه القاضى الفاضل فعرفه الصورة فقال فى الحال

اهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر رقيق اللحام

فالزر فى العنبر تفسيره * زرهكذا مستترا فى الظلام

وقال علاء الدين المغربى من رسالة النيرين وهى من المحب الكئيب * الى الحبيب الحبيب * افتتحها بقوله يقبل الارض وينهى بين يدى المالك الرحيم * سلطان الملاح * وليث الكفاح * منها ذهب النيل وعادا * وعزامى يتمادا

كلما قلت غدا ينقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبي * نال في الحب المرادا
وانا المسكين وحدي * نلت في الصحب العنادا

قال الراوي ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدي بلت في صحن القطايف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركته يخفض ويصفق ويغني تللا له تللا له يا عوينات الغزاله رحم الله من قتلني واي فخر في قتل مثلي وهل انا الا شويعر مخارف مسخره قد جعل رسائله وسائله * وقصائده مصائده * يستحلب ضرع الضراعه * ويمط قناع القناعه * ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض * وان عطش شرب من بحور القريض * في زمان لا فرق فيه عند اهله بين القادح والمادح * والصائغ والنائح

قد ذقت منه ماليس يقلعه * ابو الحسين الفلاع من ضرسي

بل اي شئ احسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدي الصحبه * ويتراشفان كاس المحبه * ويقتطفان ثمر الوصال * ويتساملان انواع الدلال * ويتواصفان لواعج الغرام * ويتباسطان مباسطة الحمام * ولا يحضرهما غير مزاح ومراح * ولا يلثمهما غير كاس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما * باتا بليل حميد غير مذموم

يسفران عن نيرين * ويبتسمان عن درين * ويتسارقان النظر بلواحظ جوذرين * كانهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفتي الميزان * ان تنافلا بعتاب * او تراسلا بكتاب * فدر منثور * وسحر غير محظور * وان تسابقا في ميدان الهوى * او تراشقا بسهام النجوى * فالواتر موتور * والساحر مسحور * وهي رسالة لطيفة ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها في الجزء الثاني من حاطب ليل

وقلت انا مما كتبته الى بعض الأصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها * بها اعين ترنو اليكم وترمق
ولي قلم امسى لرطب لسانه * سلام مشوق قد براه التشوق

الباب العاشر في الأحيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف معانيه * اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر * وما قيل في سيره من المثل السائر * اذ للشعراء في اقتناصه تحيّل * وحسن تخيل * طالما اكثروا من ذكره * واستخرجوه من وكره * فقربوا عليه بعد المسافه * ولم يعافوا الحاق زجره بالعيافه * ومن المشهورين فيه بالاجاده * ابو عباده * وغيره كابن النقيب * المتحيل على اصطياد خيال الحبيب * حيث قال * واحسن في المقال

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن اصيده * ومن عادة الأشراك للصيد تفتح

ومما احسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في التورية

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لي العين ماذا * يصيد قلت كراكي

وقال ايضا

واقسم لو جاد الخيال بزورة * تصادف باب الجفن بالغمض مقفلا

وقال ابو محمد عبد الله السروجي واحسن ما شاء

نعم بوصالك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني * اعطى وصولا بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبري فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس * بالصبر مني في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته

بالله ان سألوك عني قل لهم * عبدي وملك يدي وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادري بذا وانا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني * من فرحتي بلقاه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة * لو كان يمكنني الرقاد لحقته
وقال ابو تمام
زار الخيال لها لا بل ازارله * فكراً اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل اشراكا من الحلم
وقال ايضاً
يا لها لذة تنزهت الاثـ * ـم وراح فيها سرى من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا في دعوة الأحلام
وقال البحتري وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه وكثرة
ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحتري ومن ذلك قوله
اذا ما الكرى اهدى الي خيالها * شفى قربه التبريح او نقع الصدا
اذا انتزعته من يدي انتباهة * ظننت حبيباً راح مني او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا * نعذب ايقاظاً وننعم هجدا
وقوله
ولم انس إسعاف الكرى بمزورها * وزورتها بعد الهدو وما تدري
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر
وقوله ايضاً
بعثت طيفها الي ودوني * سير شهرين للمهاري العتاق
زارونا من الشام خفيا * مستهاما صبا بارض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها * والدجى في برودة الاخلاق
وقوله
وليلة هومنا على العيس ارسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا اغازله

فكم مزيد لليل عندي حميدة * وللصبح من خطب تذم غوائله

وقال عبد الصمد بن المعدل

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان

غير ان الارواح حاقت رقيبا * فطوت سرها عن الابدان

منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدي وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزيني وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال لمثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان اعادهما سمع الثالث فاعادهما فقال الحيص بيص

وما درى ان نومي حيلة نصبت * لطيفه حين اعيى اليقظة الحيل

وقال آخر

الا رب ضيف منك بات معانقي * الى ان دعا داعي الصباح فحيعلا

واول من وصف الطيف عمرو بن قميئة في ما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك امامة الا سؤالا * والا خيالا يوافي خيالا

خيال يخيل لي نيلها * ولو قدرت لم تخيل نوالا

واول من طرد الطيف طرفة بن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

وعجب من جرير في طرده خيال الراعي حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم * اتلك ليلى اتت ليلا ام الغول
وقد ردّ على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي
واحسن ما شاء حيث قال

يا ليت شعري هل احب جرير اذا بدى اعتذاره
ان كان يصدق حبه * فالقلب منه كالحجاره
لا بل اشد قساوة * فانظر له ابدى عواره
اذ قال قولا لم يقله عاشق او ذو جساره
طرقتك صائدة الفؤا * د وليس ذا وقت الزياره

وقال في الرد عليه ايضا

هذا مقالك يا جرير لدى اشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصـ * ـلح للزيارة والوصال
ام قيل قبلك فارجعي * ولذاك ذنب لا يقال
ام كان حبك كاذبا * فبنامه ينفي الخيال
ام كان قلبك من حديد ليس تؤذيه النبال

وقلت انا

واخجلتا لك يا جرير في المحافل والمشاهد
طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صبا غير صائد
فرددت طيف خيالها * هذا خيال منك فاسد
الطيف اعشق منك اذ * وافا اليك وانت راقد
لا عار مثلك ما بقي * في الناس للعشاق عائد

وقلت ايضا من قصيدة

يقولون قلبي ... انني ... وقلبي في تقاضيه مغرم
ومنه في ليل الذكرى ... وخيالهم ... وحبيب مسلم
ولشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني
حبذا طيفك من قادم * يا احسن العالم في العالم

طيف

طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
يا غائبا يحكم في مهجتي * على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكي * حظي منه انه ظالمي

وقد احسن الثعالبي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال لنا افضل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والالم

وقد بلغ النهاية في لطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تاخر خياله فقال

قد كنت حتى يطيف مسلم * على وقالت رحمة لحبيبي
نخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيبي

ومما احسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه بيتين وكتب به من يمن الى اخيه بدمشق

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

وقال آخر

وزارني طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

وقال [illegible]

[illegible] معتذر [illegible]
[illegible] * [illegible]

[illegible] و
[illegible] *
[illegible] فاذا [illegible]
كما قيل

ارى فى منامي كل شئ يسرني * ورؤياي بعد النوم ادهى واقبح
فأن كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل أصبح

وقال المعري

فى الله اشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

وما احسن قول ابن التلميذ

عاتبت اذ لم يزر خيالك في النوم فشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب

وقال ابن الاحنف

واحلم في المنام بكل خير * فأصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي * لقيت الشر من قبل الاذان

وما اظرف قول ابن المعتز

ألم الخيال بلا حمده * وأبدلني الوصل من صده
وكم نومة لي قوادة * اتت بالحبيب على بعده

ومثله قول الآخر

تركت هجاء ابليس ثم مدحته * وذاك لأمر عز عندي سلوكه
يقرب من [illegible] زائر * حكاه خيالا في الكرى فانيكه

وقال بعض مشايخ العصر

لولا طيف [illegible] * ما بت اشكو لوعتي ورسيسي
[illegible] * وخياله وحديثه المأنوس
[illegible] * ووفاه الا على ابليس

ومن احسن قول الشيخ الفاضل رحمه الله هنا على أن الطرف
لا [illegible] * وقطع المراحل * وتخطى
[illegible]
[illegible] الشيب [illegible]

واطراف القسي دوان * وكيف أعتد له بمنة والفكر مدنيه
وانا يقظان * ومثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العيون منه ما كان
* حكي عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدة
طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع رأسه ونام فقالت له
لأي شيء فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي ارى خيالك
في النوم * وحكي عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدي
على الارض لكي ترضى فقالت أعطني دينارا حتى اخليك تضع خدك
على خدي ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وقول الآخر

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا يوافيني على البعد هاديا
سقى الله اطلالا بناحية الحمى * وان كن قد ابدين للناس حاليا
منازل لو مرت بهن جنازتي * لقال الصدى يا صاحبي انزلا بيا

وقال توبة بن الحمير

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافيني على البعد ثاويا

الباب الحادي عشر في قصر الليل وطوله * وحزنه
شغفه وخضوعه * وما في معنى ذلك القول [illegible]
من طال [illegible] [illegible] فاصبح [illegible]
[illegible] [illegible] احرق * [illegible]

يا [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]

ولم تزل العشاق [illegible] * [illegible]

عند طوله * وعذرهم في ذلك ظاهر * وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

ماتت الظلام بليل * احييته حزن عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين احمد بن منقذ

ما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال ايضا

ورب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
[illegible] عن صبحه فاجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع في ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه ابو محمد [illegible] بن منصور الجواليقي قال وقف على والدي وهو جالس في حلقته يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال له قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس امست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

فلما سمعها والدي قال له يا ولدي هذا شيء من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيا والدي لكونه سئل عن شيء ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس فقال معنى البيت المسئول عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول

وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد انصف القائل

لا اظلم الليل ولا ادعي * ان نجوم الليل ليست تسير
ليلي كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلي قصير

وما احسن قول الارجاني

وما ليلنا الا سواء وانما * تفاوت انا سهرنا وغيرنا

ومن احسن ما قيل في قصر الليل قول ابي اسحاق الصولي

وليلة من الليالي الزهر * قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفق وفجر * حتى تولت وهي بكر الدهر

وقال الرضي

يا ليلة كادت من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال آخر

سألت الليل لم ولى هزيما * وقد بات الحبيب على فراشي
فقال كواكبي غارت وسارت * مغار وغيرة الى الصباح

ومن احسن ما قيل في طول الليل قول ابي العباس بن الاحنف

ايها الراقدون حولي اعينوني * على الليل واتركوني لاشتكائي
حدثوني عن النهار حديثا * او صفوه فقد نسيت النهارا

وقال آخر

عهدي بنا ورداء الشمل مشتمل * والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال ابن المعتز

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما شكى الليل هجر الصباح * شكوت اليه هجر الصباح

وقال ابن الزقاق

لي مسكن شطت به غربة * جادت عليه سماء ياقوت
ما احسن الفجر ولا راقني * بياضه مذ بان في [illegible]

كأنما الصبح لنا بعده * عين قد ابيضت من الحزن

وما احسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح

بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال ياقوت

كأن الثريا راحة تشبر الدجا * لتعلم طال الليل ام قد تعرضا

فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال

بكف الثريا وهي جذما يقاس لي * شقاق الدجا امد من الشرق والغرب

ولو ذرعوها بذراع ما انقضت * فما تنقضي بالليل او ينقضي نحبي

وقد احسن الارجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال

لا ادعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا

لكن مرآة الصباح تنفست * لما اصدأ وجهها المصقولا

وقال مضر بن القفعسي

وليل تقول الناس من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها

كأن لنا منه بيوتا حصينة * مسوحا اعاليها وساج كسورها

وقال آخر

وليلة لم ادر ما سنة الكرى * كأن جفوني سممي والكرى عذل

وقلت انا

مذ غبت عني شمس الدين بن الكحيت * عيني بغير زور السهد والسهر

كم بت ارعى نجوم الليل من ارقي * يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الشريشي فاما اكثر الشعراء فهم من الليل افزع * والى النهار انزع * لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر * واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله * علي بانواع الهموم ليبتلي

وقال قيس بن ذريح

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

وقال ابن المعتز

لا تلق إلا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

وقال المتنبي

كم زورة لك في الأعراب خافية * ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت امير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد اخذه بعضهم فقال

أقلي النهار اذا اضاء صباحه * واظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقد احسن في اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قواد) قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لي شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع اتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبي ازورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فاي فائدة فيما تصنعون يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف ومثل قوله هذا ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم في المحبة وامور العشق واحواله ومد أطناب الإطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضمت اليك ليلى * قبيل الصبح او قبلت فاها
وهل رفت عليك فروع ليلى * رفاف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقصر وقال المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسري اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بانه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه وقال بن رشيق

ايها الليل طر بغير جناح * ليس في العين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني اولو الوجوه الصباح

حكى الاصمعي قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل ابو نواس فقال ما احدث بعدنا يا ابا نواس فقال يا امير المومنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

يا شقيق الروح من جسدي * نمت عن ليلي ولم انم

الابيات حتى اتى على اخرها فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة الاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج وحكي عن المطرز الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فامر باحضاره وقال له انشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية وقال اهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف ايده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لانه خلع ما لا يملكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندي احسن من قول الشريف وقال ابو البشر المظفر لاخي دخلت على الملك الكامل فقال لي اجز هذا المصنف * قد بلغ العشق منتهاه * فقلت

وما دري العاشقون ماهو * فقال وانما غرهم دخولي * فقلت
فيه هاموا به وتاهوا * فقال ولي حبيب يرى هواني * فقلت
وما تغيرت عن هواه * فقال رياضة النفس في احتمالي * فقلت
وروضة الحسن في حلاه * فقال اسمر لدن القوام المي * فقلت
يشتقه كل من يراه * فقال ريقته كلها مدام * فقلت
ختامها المسك من لماه * فقال ليلة كلها رقاد * فقلت
وليلتي كلها انتباه * ثم ان مظفر الدين اكملها مدحا في
السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه
الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول * وما عنده
من كثرة الفضول * اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل
والقال من العذال * واستحق بامساك لحيته عند عذله نتف السبال
* وكيف لا وهو لكثرة فضوله * وقلة محصوله * يدخل بين
الروح والجسد * والوالد والولد * طالما اصبح بين المحبين
قفا بين صفاعين * لا يفتح له باب * ولا يرد عليه جواب
واثقل من ناداك من لا تجيبه * واغيظ من ناداك من لا يشاكل
وما التيه خلقي في الهوى غير انني * بغيض الى الجاهل المتعاقل
فلذا استراح واراح * وصان عرضه المباح * فقد اكثرت الشعراء
في الرد عليه * واعتذرت المحبون اليه * كما قيل

يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

وكان يقال ليس من العدل * سرعة العذل * وكان يقال رب
ملوم لا ذنب له وكان يقال (لعل لها عذرا وانت تلوم) فكم عاذل
زاد المحب بعذله لجاجه * وجنونا اكثر من الحاجه

لا ابدلن هوى بلوم اثم * كالريح يغري النار بالاحراق

وقال الاخر

وما عذولي ناهياً عنكم * لكنه بالصبر أمار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامن اذا باعت الابصار اسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيدني العذل تبريحا الذ به * فليت عذال قلبي فيك لا برحت

وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني

اسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

وقال والده واحسن ما شاء

ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليه ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه انا السبب

وقال الآخر

قد اجتهد اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زورا لكلام بعينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وحكى بن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه فقال ابن وكيع في الحال

ابصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي الي من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماه

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق رسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم

قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال ايضا

ان قوما يلحون في حب سعدى * لايكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا واعطوا خبيثا

وقال ايضا

من منصفي من عاذل جاهل * يخون بالّلوم لمن لايخون
اذ قلت ما نصحك الا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمد بن شرف القيرواني

قال العذول لو اطلعت على الذي * عاينته لعناك ما يعنيني
انصدّ نحو ام للغرام تردّني * وتلومني في الحب ام تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك في المحبة ديني

وما احسن قول الآخر

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال آخر

لقد راعني بدر الدجى بصدوده * ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا عاذلي دعني عساه يعود لي * ويا مهجتي صبرا على ما كواك به

وقال عرقلة

قال العواذل ما الذي استحسنتم * منه وما يسبيك قلت جميعه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

يا خيبة العاذل الذي قد * اطال في العذل واستطالا
عذبني ثم قال تسلو * عن حب ماما فقلت لا لا

وقال ايضا

ايها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذا له تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتي وان مني تقاتي * اين من يبتغي الى الوسيله
انا ميت فقبلوني اليه * فحياتي وحقه تقبيله

وقال النور الاسعردي

اقول لعاذلي لما نهاني * وقد وجد المقالة اذ جفاني
علمت بأنه مر التجني * وبانت انه حلو اللسان

وقال ابو الفتح فادوس في الاكتفاء

من عاذري في عاذل * يلوم في حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

ومثله قول الشيخ بحماه

اغضب العشاق منه انني * لم ابع في حبه رشدي بغي
قلت قد اضنيت جسمي قال قد * قلت كي يذهب روحي قال كي

وقال ايضا

زعموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في [illegible] يدي * وقلت خلوني والا

ومثله قول الوداعي

يا لائمي في هواه * [illegible] في اللوم جهلا
[illegible] انسوق الا * ولا الصبابة الا

وما احسن قول ابن سناء الملك في هذا المعنى

هوى غزالة في الغزل [illegible] * نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا * حتى اذا اعييت اطلقت العنا

وقوله ايضا

[illegible] وقد بدت [illegible] * تقبيله في خده تسعين واحد

وقوله ايضا

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتجهم * فيا ليته لو كان يدفع بالتي

وقال شيخ الشيوخ بحماه

اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنت ان توحشوا فؤادي * فأيئسوا مقلتي ولا تو

وقال بن المعتز

زاحم كمي كمه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا * يا قرة العين ويا همي ويا

وقال ابن مطروح

والله لا اخطر السلو بمهجتي * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

رجع الكلام في العذل وقال الآخر دوبيت

لما نظر العذال وجهك بهتوا * في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما نحسب الا اننا نعذله * من يسمع من يعقل من يلتفت

وقال الآخر

قالوا اسله واطرح هواه * فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لا تطيلوا * والله والله ما افكه

وما احسن قول شهاب الدين بن الخيمي رحمه الله

وعذول رابني في نصحه * كلما زدت إباً زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل ودجى

وقال آخر

لو رأى وجه حبيبي [illegible]

انشدني الشيخ [illegible]

ذهب العمر [illegible]
في سبيل الحب [illegible]

وقال الشيخ ابراهيم [illegible]

لو رأى حسن وجهه * عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور درهم

وقال ايضا

لج العذول ولامني * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدى * ووقعت على اصل القفا

وما اظرف قول النور الاسعردى

وقالوا دع المعشوق واهجره دائما * الم تره بعد الملاحة ينتف
اينتف من اجلي ويتعب دائما * واهجره تالله ما انا منصف

وقال آخر

قل للعذول اطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا

وقال محيى الدين البغدادى

ان لامني من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان خانني من رآه فقد * اضله الله على علم

وقال البهاء زهير

انت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدود * نعم تقول وتفعل
قد صح عذرى في الهوى * لكنني اتعلل
قل للعذول لقد اطل * ت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل

وقال ابو العتاهية لقيت ابو نواس في المسجد الجامع فعذلته

وقلت له اما آن لك ان ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الى وقال

اترانى يا عناهى * تاركا تلك الملاهى
اترانى مفسدا بالـ * نسك عند القوم جاهى

فلما الححت عليه فى العذل انشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت انى قلت هذا البيت بكل شئ قلته وقال جوبان الفوارس

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنه بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق * والمحب الوامق * الا تراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصانع * وجنى من عذله جنى النحل ممزوجا بماء الوقايع * فهو فى هذا المقام من الاثبات * كما قال ابو الشيص من أبيات

أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم

وقال ابن رشيق وقد زاد على ابى الشيص فى قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما * اخشى صدودك لا من السلطان
اهوى الملامة فيك حتى لو درى * اخذ الرشا منى الذى يلحانى
حسبى لقول الناس بعد منيتى * هذا قتيل فى وداد فلان
فلانفقن عليك عمرى كله * ولاعشقن عليك كل هوان

قلت والذى اقوله انا فى هذا المقام * ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام * ونديم كؤس المدام * الا تراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعالة * فاصبحت حالته كما قيل ضغث على ابالة * فهو كما قال بعض السادات من الولايات * لو تعلم العوام ما فى قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات * ومثل قوله هددت بالسلطان قول الاخر

وان نُذِرت فيك العشيّة قتلتي * فللموتُ عندي في هواك سلام
ومن اعجب الاشياء خوفي في الهوى * ولي كل يوم في حماك حُمام

وقلت انا

وعاذل بالغ في عذله * وقال لمّا هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

وقلت ايضا

عذلوا على من رام قتلي في الهوى * فكلامهم ضربٌ من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن في الـمحبوب غير الطعن في الميدان

وقلت ايضا

كم خالف العذال قولي في الذي * في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفرداً * قالوا انثني عطفه الميّاد

وقلت ايضا

ياعاذلي لا تلحني * في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القط

وقلت ايضا

مليح الترك لاسيما الخطابي * عليه الشيخ يعذر للتصابي
فدعني من ملامك ياعذولي * فحبي للخطاعين الصواب

وقلت فيمن اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدّت فبت لاجلها * ولهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلي لا تلحني في حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

وقلت

[illegible] لظى قلبه يشتكي الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
[illegible] علما بالهوى والذي ارى * محا الفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة

وازنت ميلي للعذول وقده * فرايت ميلي للقوام رجيحا

يا عاذلي لا اصافحتك يد النوى * حتى توسّد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبا في الهوى * لكنهم لا يقبلون نصيحا

وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر

فيا من جاء يعذل مستهاما * على حلو الشمائل ما أمرّك

وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها

لك من جبينك ما تحب وتشتهي * فاجعل مدامك من مقبلة الشهي
واذا بدا لك ثغره متبسما * فاضحك على ذقن العذول وقهقه

وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بدمشق الشام

يا ساكني السفح لي في حيكم سكن * وانتم في سويدا القلب سكان
دمعي يزيد كما ناس لبعدكم * والعاذلون على ثوراء تيران

ومنها

قد كان ما كان من هجران زمنا * وقد وفي الآن فالعذال لا كانوا
انا الذي لا ابالي في الغرام بما * يروي فلان ولا ما قال فلتان

ومنها

برهنت حسن الذي اهوى وقلت لهم * ما للعذول على ما قال برهان
ما لامني مذ رآني في الهوى رجبا * بمزح شعبان فيما رمت شعبان

تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الأسماء المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الأصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا ومن احسن ما سمعت فيه

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان اني رجب

وقلت انا ايضا

يسطو علي من الدلال كأنه * غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه * فانا القتيل بلحظه وبسانه
اني وحقك في هواه متيم * صب غدا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده واصله ان سعدا وسعيدا بني ضبة بن أدّ خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ابوه ضبة اذا راى رجلا مقبلا قال اسعد ام سعيد ثم انه في بعض مسيره اتى الى مكان ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحارث قتلت هاهنا فتى هيئته كذا وكذا واخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه ومن احسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق

قلت اذ جرد لحظا * حده يُدني الأجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام * ذكرت قول ابي نواس في المدام

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني على بيت أوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره ابقراط في معرفة الدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد هولت علي فقال هو قول ابي نواس * دع عنك لومي البيت قلت وبقي لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في دُرَّة الغواص عن حامد بن العباس انه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزاره عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما انا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لإصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهليه وقد قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابو نواس فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ماضرك يابارد ان تجيب ببعض ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل حامد منه لما ابتداه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ان الذى جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها

لم يصلب الراوق الا عندها * قطع الطريق على المدام وعاقها

ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها * ما لامني لكنه ما ذاقها

قال اطرح صفراء يطفي خمرها * لهب القلوب اذا اشتكت احراقها

فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا * في طرق لومك ان اردت فراقها

وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال

اعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي

مادمت خلوا فما انفك متهما * اعشق وقولك مقبول على وَلي

وقال الآخر

لو تعلم الورق حنيني نحوكم * لمزقت من طرب اطواقها

ولو يذوق عاذلي صبابتي * صبا معي لكنه ما ذاقها

حكى ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء انكرها

في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب فانشده

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى ان تسامحني * بأن اراك على شئ من الزلل

الباب الثالث عشر في ذكر الاشاره * الى الوصل والزياره * أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور * وما قيل فيهما من منظوم ومنثور * وغير ذلك من عيادة الحبيب * وما يستدل به عليه من روائح الطيب * كما قيل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا * وامسى له الفضل زائرا ومزورا * كما قيل

ان زارني فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل * ولو الحق فيها الوابل بالطل * ومن احسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شئ جزعا
زائر نم عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وما احسن قول ابن المعتز

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

وقال الآخر

زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاي في كتاب الواضح المبين
انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعماً انها اصدق
كلمة قالها الأواخر

يقولون لي بالله ما انت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أنيكه

وقال يعقوب الشيباني

قلت اذ زار من احب وجنح الليل روض ابدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحسن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلساً حين يمشي * واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم بسري الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا * ليحامي الظلام كن برد دارا

وعلى ذكر البرددار ما احسن قول الأخر دوبيت

يا ليل بك الثناء والمدح يليق * اذ انت لأهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت برددار لهم * لا انعط عليهم قط للصبح طريق

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ حباني حبيب * وغناء يسبي النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن انت يا دجى برددارا

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
ما دري منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * بمحز النزاع كيف استدلا

وقال الأخر

يا حبيبي وانت ما * زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة * بت فيها مهوما
حين وليت غايبا * افل البدر في السما
ليت شعري من الذي * من اخيه تعلما

وقال بشار بن برد

يا اطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * ثني ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمايه باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به قلت واخبرني الان بعض الصوفية المقيمين عندي بالصهريج انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاج ثم اقام بعد ذلك سبعة ايام ومات رجع الكلام وقلت انا

لي حبيب له حديث مواف * كل يوم يأتي اليه مرارا
قلت زرني فقال جئ عندك * شغل الحلي اهله ان يعارا

وقلت ايضا من قصيدة

زار الحبيب ووجه الورد نجلان * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفي الان فالعذال الا كانوا
ما صرت في ضيق عيشي حين واصلني * سم الخياط مع الاحباب ميدان

فصل في نم الطيب على الحبيب ما احلى قول ابن سكره

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وبان اشرافها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنات وعطر النحر والنفس

اخذه المعتمد بن عباد فقال واحسن ما شاء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد اذنت * فأت على غير رقبة ولج

اقبلت اهوى الى رحالهم * أهْدَى اليها بريحها الأرج

قيل ويستدل بالطيب على السلوك في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلا * فقل له يمشي ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميري في زينب اخت الحجاج من قصيدة

تضوّع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب في نسوة خفرات

له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلّع ريّاه من الكفرات

يخمّرن اطراف البنان من التقى * ويطلعن نصف الليل معتجرات

ومنها

ولما رأت ركب النميري أعرضت * بكره لأن يلقينه حذرات

ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهي مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائي

فسرْنا في ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائح * لوجدته منهم على أميال

وقال ابن الرومي

اعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال المتنبي

وتفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

فصل ومن احسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

خبّروها اني مرضت فقالت * اضنيٌ طارفا شكا ام تليدا

واشاروا بان تعود وسادي * فأبت وهي تشتهي ان تعودا

وانثنى فى خفية وهى تشكو * الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

انشدنى من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة

وملولة فى الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * انا بالسقام وانت بالأعراض

وما احسن قول السليمانى

وانا الذى اضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

وقال الآخر

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلسان وصلكم غذى
ورفعتم مقداره بالابتدا * حاشاكم ان تقطعوا صلة الذى

ومن عظيم ما يحكى عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين بن عنين كتب اليه وهو ضعيف

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندا وتلاف قبل تلافى
انا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال انت الذى وهذه صلتك وانا العائد قلت وقد استخدم بن عنين الصلة والموصول واجاد * وعامله الملك المعظم فى السبق الى تتمهم مقصوده معاملة الجواد * ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان ادل دليل على فضله * وسداد نبله * فى الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه * العظيم سلطانه * فكم قر لابن عنين عينا * ووفى عنه دينا * فنال به السول * وضرب بحسنة ولا تدبيره الموصول * لا جرم انه ملأ بمدائحه ديوانه * وقال فيه من قصائده العلنانه

كريم الشاعر من لعار باسل * جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لمرء ما رأيت عينى حقيقة * هى الشمس للاقصى سناها وللأدنى

ولي انا من قصيدة في هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخلصها

تطاول غصن البان يحكي قوامه * فقلت له والله قد جئت في المعنى
ولكن بدر التم والبحر قصرا * عن الناصر السلطان في الحسن والحسنى

ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا لامرئ * قط الا واشتهى ان لا يراد

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا ذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صفع الله به صلعتنا) رجع الكلام الى العيادة ما احسن قول السراج الوراق

قال حسدتني وتمنيت لي * وعارض السقم في شر
لقد تغيرت يا صديقي * وعافاه الله من تغير

وقوله ايضا

مرضت لله قوم * ما فيهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعاني

وهذا البيت اشباه ونظائر ذكرتها في كتابي الطاري على السكردان منها ما حكي عن القاضي ابو بكر بن العربي وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح تهمز الرمح وقال الساعة اضربك به فانشد القاضي ابو بكر في الحال لنفسه

يهددني بالرمح ظبي مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سالت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث

من هذا البيت فلم يجب احد منهم بطائل وقال ابن النقيب
سمعتُ بما تشكو وما انت واجد * فظلت دموع العين فى الخد تسفح
وارسلت خطى فى العيادة نائبا * وما كل خط للعيادة يصلح
وقال المعتمد بن عباده
مرضتَ فامسكتُ الزيارة عامدا * وما عن قلى امسكتها لا ولا هجر
ولكننى اشفقت من ان ازوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر
وقال الشهاب محمود فى القول بالموجب
رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر ايضا
واورد فى كتابه حسن التوسل قول الارجانى
غالطتنى اذ كست جسمى الضنى * كسوة اعرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما
وقفت انا حين وقفت على قول الارجانى هذا بديهها
شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وما قاسيت من الم البعاد
فقالت ان حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد
وما احسن قول محاسن الشواء
ولما اتانى العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض
وقال ابن النقيب
ومابى سوء عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى
والاصل فى هذا كله
وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به اعين الانس
وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى فى مليح يعمل الكوافى

اسم حبيبي وما يعاني * قد شغلا خاطري ولبّي
قالوا على فقلت قدرًا * قالوا كوافي فقلت قلبي

وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت ادناني يضاعف تبعيدي
أقرّ برقي اذا اقول انا له * وكم قالها ايضا ولكن لتهديدي

وقال السراج الوراق

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * هموم نفس ليت لا احملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

الباب الرابع عشر في الرقيب النمام * والواشي الكثير الكلام * اقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر العين * كثير المين * يرى المحب بعين المقت * في كل وقت * ويرميه في الحضرة والمغيب * بكل سهم مصيب * فكم ترك المحب مضنى * وافقره فيمن احب وما استغنى * فهو كالصخر قاطع اللذات * تعيس الحركات * قبيح المنظر * سيئ المخبر * كثير اللجاج * حجر في دكان زجاج * فهو والنمام * في الازدراء فرسا رهان * رضيعا لبان * ومن ابلغ ما سمعته في الرقيب

انا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بحيث ان يمكن الد * ر بان اقول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت انت الشـ * ـحو في فقلت كيم الطبيب

وقول ابن المعتز

وابلاءي في محضر ومغيب * من حبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل شربها برقيب

وقال ايضا

قد دنت الشمس للمغيب * وحان شوقي الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم * له حبيب بلا رقيب

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب وغيبة الرقيب * قال الصاحب بن عباد

قال لي ان رقيبي * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنة حفت بالمكاره

وقال آخر

لسهم الحب جرح في فؤادي * وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكي * مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا * لصب على محب او حبيب

وقال آخر

يسقيك من كفه مداما * الذ من غفلة الرقيب
كانها اذ صفت ورقت * شكوى محب الى حبيب

وقال ابو نواس

لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا * سلم الرقيب من العمى

وقال الصفي الحلي

ومليح له رقيب قبيح * يتعنى وغيره يتهنا
ليس فيه معنى يقال ولكن * هو عند النحاة جاء لمعنى

وقال آخر

قالت صفا الوقت ولكن الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب ارضني قالت اذا

وقال آخر

احب العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعي
واهوى الرقيب لأن الرقيب * يكون اذا كان حبي معي

وقال ابو جعفر احمد بن الابار

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا

قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره الى الجناب الرحيبا
عاطه كؤس المدام دراكا * وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من نتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد ان ندب عليه * قلت ابغي رشا واخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب ناك محبوبه وناك الرقيبا

قال بن بسام لقد تظرف بن الابار وأبتر واحسن ما شاء وقدر واظنه لو قدر على ابليس الذي تولى هذا المذهب لدب عليه * ولم يخلص من يديه * وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال فكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقال ابو نواس

... لنيه مخ عمري * زمن كان يصلح للدبيب
... سبث ما كان اشتهينا * بمنع الحب وخوف الرقيب

وقال ... ابو الوليد محمد بن حسان الحنفي

... بعرفكم يتعرف * واخو الغرام بحبكم يتشرف
... نسيم في هواكم ... * طورا ينوح وتارة يتلهف
... الغرام ولم يبح * نمت عليه به الدموع الذرف
... ما به لهب من الاحشا ورقيبه بهبوبه لا يعرف
... لرقيب لانه * اخفى عليه من النسيم والطف
... النسيم دياركم * وله على تلك الديار توقف

... عروة بن عبد الله كان عروة بن اذينة الليثي نازلا في دار ... فسمعته ينشد لنفسه

ان التي زعمت فؤادك ملها * حلقت هواك كما خلقت هوى لها

فاذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة * اخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ماكان اكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها

فاتانى ابو السايب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر الك حاجة قال نعم ابيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فانشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدايم الصبابة الصادق لا كالذى يقول

ان كان اهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وارغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجو ان يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ماكنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف وقال بن رشيق

تأذى بلحظى من احب وقال لى * اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * على فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

وقال آخر

ورقيب عدمته من رقيب * أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل فى الظلام وعندى * هو كالصبح قاطع اللذات

وسألت فى وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطى هل تحفظ شيئا مليحا فى هجو الرقيب فسكت لحظة وانشدنى لنفسه

قال لى صاحب يروم قريضا * فى هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم فى الرقيب شئ مليح * قلت ما فى الرقيب شئ مليح

وقلت انا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فعزلي * وقل في ثقيل نحسه متغيب
رقيب نفي عن ارض ليلي عشية * وأخرج منها خائفا يترقب

وقلت ايضا

عاذلي في الحبيب دعني فاني * برحت بي في حبه البرحاء
راقب الله في محب حبيب * من نجوم السما له رقباء

وقلت ايضا من قصيدة

فبت ولي شغل * عن العذل شاغل
يذود الكرى عني من السهد ذائد

وقلت ايضا من رسالة * واما الرقيب فأمره عجيب * وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب * فهو بالنهار من الذين يراؤون * وبالليل من فاعلة لا ينام ولا يخلي الناس ينامون * فأذاه اذا ورد من بعيد * اقرب من حبل الوريد * والعاشق بينه وبين العذول * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * فهو ان قعد قامت نقيامه * وان راح لا كتب الله عليه سلامه * فصل في النمام والواشي وما اظرف ما سمعت في ذلك

قال لي عودي غداة رأوني * ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مقلي به لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
واضافوا اليه كبد حسود * فقئت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذي تشتهيه فقال اعين الرقباء والسن الوشاة واكباد الحساد

وقال الآخر

لي عندكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها الى * سنة الوشاة واعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم ابغضكم الى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل ياكل لحوم الناس ويمشي بالنميمه وقال وضاح اليمني

فاعص الوشاة فانما * قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا اتو * ك تنصحوا ونهوك عن

حكى انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكي صاحب الشام بقول الشاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الـ * واشي اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يثني قوس حاجبه * كانني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فامر باحضاره ليتخذه نديما * ويحله من حضرته مقاما عظيما * وقال السري

والقاك بالبشر الجميل مداهنا * فلي منك خل ما علمت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

وقال شهاب الدين بن الاثير

اني بحبك مستهام مغرم * وسوى هواك على القلوب محرم
لا تسمعي قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه ونمو
فمناي ان ترضى ولو بمنيتي * اي والصلاة وقتلاه لي يلزم

وقال اخر

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجاج في الحرم
خصاله نست احصيها لكثرتها * لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى همازٍ مشاءٍ بنميم مناعٍ للخير معتدٍ اثيم عتلٍ بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير ان الهماز الذي يهمز الناس اي يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة

وعن الحسن هو الذي يلوي شدقيه في اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهراً واللمزة سرّاً بالحاجب والعين والنمّام ناقل الكلام السيئ وقد اكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال

لِمَ كرِهَ النمّام اخواننا * أساء اخواني وما أحسنوا
ان كان نماماً فمعكوسه * من غير تكذيبهم مأمن

وقال آخر

اسمع نصيحة عارف * جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو * ن من الثقاة على ثقه

وقال آخر

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمّام

وقال آخر

لا افتضاحي في عوارضه * سببٌ والناس لُوّام
كيف يخفي ما اكابده * والذي اهواه نمّام

وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

اخفيت حبك عن جميع جوارحي * فوشت عيوني والوشاة عيون
وَوَددتُ ان جوانحي وجوارحي * مقل تراك وما لهنّ عيون
ياليت قيساً في زمان صبابتي * حتى اريه العشق كيف يكون

الباب الخامس عشر في العتاب * عند اجتماع الاحباب * وما في معنى ذلك من الرضى * والعفو عن ما مضى *

اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الذمن الأماني * وبث هوى ارق من النسيم المتواني * نعم في العتاب فوائد جمّة * وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمّة * وهو على اقسام عتاب هو في تاكيد

المودة بتحصيل الحاصل * وعتاب لتكذيب الناقل * وعتاب لتمييز الحق من الباطل * ومن المعلوم ان للعتاب * بين الأحباب * اصل وفصل * وقطع ووصل * لابد منه * ولا غناء عنه * اللهمّ الا عند من لا يراه البشر * ولا يعاتب الحبيب الا قلته * كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحبّ فيما جاء واحدة * ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي امثال العرب أسوأ الآداب * كثرة العتاب * وقال الاحنف العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد وقد قال بشار في تقليل العتاب

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارًا على القذى * ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

وقال سعيد بن حميد الكاتب

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال آخر

وبعض العتاب اذا ما رفعت * يباعد هجرًا ويدنى وصالا
تعاتب اخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

ومن اظرف ما سمعته في من جفي من الاحباب * ثم بادر بالعتاب * قول بعضهم

عتبت على ولا ذنب لى * بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومى فبادرتنى * الى اللوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل ان يأخذك

ومنهم من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود والقطيعة كما قيل

لا تفرعنّ سماع من * تهوى بتعداد الذنوب

ما ناقش الأحباب * إلا من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يراه * ولا يأباه * كما قيل

تصالح عاشقان على عتاب * فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

وقال آخر

واحسن ايام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب

كتب الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يزاد هجراً الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب ببيت شعر * اعاتبه فأغضبه جوابي
اجبنى يا ملول على كتابي * فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجراً * وابعاداً الى يوم الحساب

وذكرت بهذا قول ابن رشيق

وظبى من بنى الكتاب يسبى * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه * واسأله خلاصاً من يديه
فوقع قد رددت فؤادهذا * مسامحة فلا يعدى عليه

وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمناً

وبتنا على حكم الصبابة مطعمي * زفيرى واحشاءى وشربي المدامع
وجنى بعاضيى كؤوس ملامة * وينشد والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر * وعبرة لمن اعتبر * وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب * والحق الحبيب بالحباب * فاصبح وقد ضاقت عليه الحيلة * وشبه ثغر محبوبه

بأنياب ضئيله * فقابل صفو عتابه بالكدر * فيا قلبه القاسي احجر انت أم حجر * وما اظنه ملأ كؤوس هذا الملام * الا من ماء ملأ ابي تمام * حيث تجاوز الحد في الاستعاره * وخرج وعلى كتفه من الملام كاره فقال

لا تسقني ماء الملام فأنني * صب قد استعذبت ماء بكائي

فهلا تنزه عن الانخراط في هذا السلك * واقتدى بقول ابن سناء الملك

وأملي عتابا يستطاب فليتني * اطلت ذنوبي كي يطول عتابه

وفي غزلي ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق بأخلاق الناس * وتأسى بقول ابي فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب

يعد علي الواشيات ذنوبه * ومن اين للوجه المليح ذنوب

على انه رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر * فحينئذ يكون كلامي حديث خرافة يا ام عمرو *

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال الآخر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

واحسن منه قول عتيق بن محمد الوراق

كلما أذنب ابدى وجهه * حجة فهو مليء بالحجج

كيف لا يفرط في اجرامه * من اذا شاء من الذنب خرج

وقال الحكم بن قنبر المازني

كأنما الشمس من اعطافه لمعت * حسنا او البدر من ازراره طلعا

مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الاساءة معذور بما صنعا

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيث ما شفعا

وهذا مأخوذ من قول ابي نواس في سياقه

وجهي اذا اقبلت يشفع لي * وبلاء طرفك حسن ما خلفي

وفيه زيادة بذكر ما خلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء * واعذب
ثناء وقال ابو فراس

قل لأحبابنا الجناة علينا * درّجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كلّ حال

وقال ايضا

الا ايّها الجاني ونسأله الرضى * ويا ايّها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب وحده * ومن لا يردّ الغيب حين تغيب

وقال الآخر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال الآخر

واذا ما غضبت يوماً عليه * لذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى * اترضاه كي يزول الملال

وقال الآخر

تجني عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فأنني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * والله يعلم انني مظلوم

وقال الفراء

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

وقال بن المعتز

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً * ان برّ عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلّك من يعصيك مستترا

وقلت انا من رسالتي قرع الباب * وانتظار الجواب *
نعوذ بالله من زلة العاقل * ونبراء اليه من التمادي في الباطل
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيات الطريق
فقد حصحص الحق * وقرع العتاب حلقة الباب فقال
طق * وقال الاخر

وهبه ارعوى بعد العتاب الم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأنني بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب * وقال من دق الباب
سمع الجواب * فاجابهم

فان كنتم تلقون في ذاك كلفة * دعوني امت وجدا ولا تتكلفوا

فصل في العفو والرضى * والصفح عن ما مضى * جاء عن
علي رضي الله عنه في قوله تعالى واصفح الصفح الجميل أنه الرضى
بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر
صادق او كاذب لم يرد على الحوض وقال الشاعر

ذنبي اليك عظيم * وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن في فعالي * من الكرام فكنه

وقال آخر

ما احسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذي ناصر
يا غاية القصد واقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فما له غيرك من غافر
اعوذ بالود الذي بيننا * ان تفسد الاول بالآخر

كان ابو محمد اليزيدي ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات
ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق
استحيا وانقطع عن الركوب اياما فلما طال عليه ذلك كتب
الى المأمون ابياتا منها

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت مني الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوي السكر والصحو
ولا سيما إن كنت عند خليفة * وفي مجلس ما أن يجوز به اللغو
فلما قرأها المأمون وقع في الرقعة سِرْ الينا فقد عفونا عنك

فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوى معه اخذه الشاعر فقال

انما مجلس الشراب بساط * فاذا ما انقضى طوينا بساطه

وقال بن سنا الملك واما ذلك الحبيب فانه حضر متفضلا وجاء متذللا * لا متدللا * واستجار بحرم الحرمه * وخفض جناح الذل من الرحمه * واعتذر بان الادلال دلاه بغرور * واوقعه فى امور * واخرجه من الظلمات الى النور * فقبل عذره * وقبل ثغره * وامتثل امره * وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه * واذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال الآخر

وزعمت انى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ

نعم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى * هذا مقام المستجير العائذ

وقال ابن زيدون

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بى فى حبك المذهب

الزمتنى الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح اننى المذنب

فان من اغرب ما مر بى * ان عذابى فيك مستعذب

وقال آخر

وما قابلت عفوك باعتذار * ولكنى اقول كما تقول

سأطرق باب عفوك باعتذار * ويحكم بيننا الخلق الجميل

الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين *

اذا وصلت لعظم المسكين * اقول هذا باب عقدته لذكر اكثر الناس فتوه * واغزرهم مروه * وارقهم قلبا * واحسنهم مربى * ممن اصبح بين المحبين قديم هجر وهجره * وممن له بكوثر المحبة الف سكره * لاجرم انه اعان ذوى المحبة * ووازن بنفسه من فى قلبه من الغرام مثقال حبه * فسعى فى اصلاح

حاله * وساواه بنفسه وماله * ولله القائل * في هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * او معينا او عاذرا أو عذولا
فان كنت خاليا من ذلك كله

أعني باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل بالجبان فشجع

قلت اولا اقل من ذلك * يا ابنة مالك * ولله القائل في ذلك

لو تعلم الناس من شوقي ومن كلفي * ما بت اعلمه استسقوا بميعاد
واستشفعوا الى الغني باجمعهم * وجاء عائذهم في زي قراد

ومن اعجب ما سمعته في اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله ان يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا افلا احيي الناس جميعا وحكى الخرائطي انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك في المنام كانما * عاطيتني من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكاننا * بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت نومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

فأجابته الجارية

خيرا رأيت وكل ما ابصرته * ستناله مني برغم الحاسد
اني لأرجو ان تكون معانقي * فتبيت مني فوق ثديي ناهد
واراك بين خلاخلي ودمالجي * واراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما واحسن اليهما على شدة غيرته
وقال ابو الفرج ابن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى فى جارية له
فقال المهلب
لعمري انى للمحبين راحم * وانى ببر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ودّ مبدّد * وانى بما قد ترجوان خليق
ثمّ وهبها له ومعها خمسة الاف دينار * وروى عن عثمان
ابن عفان رضى الله عنه انه جاءته جارية تستعدى على رجل
من الأنصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المؤمنين
احبّ ابن أخيه * فما انفك اراعيه * فقال له عثمان اما ان
تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها لابن اخى واتى على بن ابى طالب
كرّم الله وجهه بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل
فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكنى اصدقك
تعلقت فى دار الرياحى خودة * يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها فى بنات الروم حسن ومنصب * اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلمّا طرقت الدار من حر مهجة * أبيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بى ثم صيحوا * هو اللص محتوما له القتل والاسر
فلمّا سمع على شعره رقّ له وقال للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله لنعرف نسبه فقال النهاس
ابن عتبة العجلى فقال خذها فهى لك وحكى التميمى فى كتاب
امتزاج النفوس ان معاوية بن ابى سفيان اشترى جارية
من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا
منها * وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى * طريرا وسيما بعد ما طرّ شارب
فسألها فقالت له هو ابن عمّ لى فردها اليه وفى قلبه منها
شرر النيران وذكر الخرائطى ان المهدى خرج الى الحج حتى

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوى دخل عليه وبكى وقال يا امير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال للحاجب ويحك ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه فقال من عشيقتك قال ابنة عمى قال ألها اب قال نعم قال فما له لا يزوجك بها قال ههنا شئ يا امير المؤمنين قال ماهو قال انى هجين والهجين الذى امه امة ليست بعربية قال له المهدى فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل فى طلب أبيها فأتى به فقال هذا ابن اخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من اولاد العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن فما الذى يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوجه اياها على عشرين الف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين فدفعهما اليه فانشاء الشاب يقول

ابتعت ظبية بالغلاء وانما * يعطى الغلاء لمثلها أمثالى
وتركت اسواق القباح لاهلها * ان القباح وان رخصن غوالى

وعرض خالد بن عبد الله القسرى سجنه يوماً فكان فيه يزيد بن فلان البجلى فقال له خالد فى اى شئ حبست يا يزيد قال تهمة اصلح الله الامير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم ايها الامير وكره ان تعرض بقصته لئلا يفتضح معشوقه فقال خالد أحضروا رجال الحى حتى نقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد اخ فكتب شعراً ووجه به الى خالد

اخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظ انه غير سارق
اقر بما لم يأته المرء انه * راى القطع خيراً من فضيحة عاتق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لألفيت فى أمره غير ناطق

اذا بدت الرايات للسبق في العلا * فانت ابن عبد الله اول سابق
فلما قرا خالد الابيات علم صدق قوله فأحضر اولياء الجارية
فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر
فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه
ونقد خالد المهر من عنده وذكر احمد بن الفضل الكاتب انّ
غلاماً وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف
بعمله حتى صيّره قريباً منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة
من الغلمان كتب في لوح الجارية
ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من طول حبك حتى صار حيرانا
فلما قرأت الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته
اذا راينا محباً قد اضرّ به * طول الصبابة اوليناه احسانا
فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين
صلي العريف ولا تخشين من أحد * امسى العريف صغير السن ولهانا
امّا الفقيه فلا يسطو عليه أذى * فأنه قد بلى بالعشق الوانا
وذكر الخرائطي عن ابي عساف قال مرّ ابو بكر رضى الله عنه
بجارية وهي تقول
وهويته من قبل قطع تمائمي * متماشيا مثل القضيب الناعم
فسألها أحرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك
فتلكأت فاقسم عليها فانشدت
وانا التي لعب الغرام بقلبها * قتلت بحب محمد بن القاسم
فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر
ابن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله قد مات بهن
كريم * وعطب بهن سليم * ودخلت عزة على ام البنين اخت
عمر بن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى
قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت انجزيها وعلى اثمها حدث محمد بن عبد الله بن ابي مليكة عن ابيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن ابي عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جواري فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومني فيك اقوام أجالسهم * فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال ما لي لا ارى ابن ابي عمار فاخبر انه منقطع في منزله لفرط ما به فاتاه ابن جعفر فلما رآه اراد ان ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل حب فلانة قال هو في اللحم والدم والعصب والعظام قال اتعرفها إن رأيتها قال او اعرف غيرها قال فأنا قد ضممناها اليها واحدة والله ما نظرت اليها وأمر بها فخرجت في الحلي والحلل فقال هي هذه قال نعم بأبي انت وأمي قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال إي والله وفوق الرضى فقال له ابن جعفر لكن والله لا ارضى ان اعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة الف درهم

الباب السابع عشر

في ذكر دواء علة الهوى * اقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب * الذي اعجز اهل الطب * فهم فيه حيارى * سكارى وما هم بسكارى * على ان الذين جمعوا عليه * واشاروا اليه * انه لا شفاء من هذا الداء العضال * الا بطيب الوصال * مثل غمز النهدين * وقرع الشفتين *

والتصاق البدنين *

رايت الحب ليس له دواء * سوى وضع الصدور على الصدور

ولاسيما ممن بدت نهوده * وتوردت خدوده * وعذب مذاقه

* وطاب عناقه *

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى

والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما القى من الهيمان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال الآخر

شفاء الحب تقبيل وشم * ووضع للبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * واخذ بالمناكب والقرون

وقال آخر

اسقم قلبي ثم لم يبره * عاقد زنار على خصره

لا نلتقي روحي مع جسمه * حتى أرى صدري على بطنه

وقال ابو جعفر العدوي

فسكر الهوى أدوى لعظمي ومفصلي * اذا سكر الندمان من لذة الخمر

واحسن من قرع المثاني ونقرها * تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

وقال ابو دهقان

حدثنا عن بعض اشياخه * ابو هلال شيخنا عن شريك

لا يشتفي العاشق مما به * بالشم والتقبيل حتى ينيك

وقال في الاغاني قال ابو العيناء أنشدت ابا العير قول المامون

ما الحب الا قبل * وغمز كف وعضد

من لم يكن ذا حبه * فانما يبغي الولد

ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

فقال كذب المامون واكل من خرا رطلين وربعا بالميزان

وأخطأ واساء الادب هلا قال كما قلت انا

وباض الحب في قلبي * فوا ويلا اذا فرخ
وما ينفعني الحب * اذا لم اكسر البرنج
وان لم يطرح الاضلاع * فرجيه عن المطبخ

ثم قال لي كيف رايت قلت عجباً من العجب قال كنت ظننت انك تقول غير هذا قابل يدي فارفعها قلت قول المأمون ان نكح الحب فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزباني ان اعرابياً قال علقت امرأة كنت آتيها فأخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا اني رايت بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يدها فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه ما نكح الحب الا فسد وحكي عن بعض الادباء انه كان يعشق جارية فقالت انت صحيح الحب كامل الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصل في منزله لم يكن همه الا ان رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهي في القالب

اسرفت في نيكنا والنيك مصلحة * فارفق بفضلك ان الرفق محمود

فأجابها وهو في عمله لا يفتر

ولم انك نيك من تبقى مودته * لكن نيكي هذا نيك مجهود

فنفرت من تحته وقالت يا فاسق اراك على خلاف ما قلت كأنك تجعل جماعي سبباً لذهاب حبك والله لا جمعني واياك سقف بعد هذا ابداً وعلى هذا القول جماعة أعني أن الحب اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد ذوق الوطء وانه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبة كما قيل

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا * وصلا يحل على كل اللذاذات

وقال هدبة بن الخشرم

والله ما يشفي الفؤاد الهائما * نفث الرقى وعقدك التمائما

ولا الحديث دون ان تلازما * وتعلق القوائم القوائما

وقال آخر

قولا لعاتكة التى * فى نظرة قضت الوطر
انى أريدك للنكا * ح ولا أريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا * لك كان هذا للقمر

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها الف قبلة * كفاك اما شئ لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه * وطول سهاد يستفيض له المقل
فقالت وأيم الله ما لذة الفتى * من الحب فى شئ يخالفه العمل

واما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطائى الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه فى ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك امران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع فى الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل * ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها بحلالها مدفوع *

وقال آخر

انا ذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقال آخر

خود حرائر ما همن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسياتى ما ورد فى هذا المعنى فى باب العفاف والثانى ما قاله العلماء فى اسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلفا لا استفراغ

ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر
المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن
حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما تكره المرأة من الرجل
كما قيل * رأت حبى سعاد بلا جماع * فقالت حبلنا حبل انقطاع *
* اذا المحبوب لم يك ذا ممر * رأى المعشوق كالشئ المضاع *
وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر
كما قال بعضهم اذا ما شئت ان تسلو حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى
وقال الآخر
وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود
وقال الآخر
وقالوا دواء الحب حب يزيله * لأخرا وطول التمادى على الهجر
وقال آخر
تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
وذكر الحافظ ابو عبد الله البخارى فى تاريخه باسناده ان محمد
ابن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا
لاكثرهم من عهد الثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان
اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على
الخاتم فلعله ينتهى عن ذلك والله اعلم * وقال شمس الدين
ابن الاكفانى فى كتاب غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه
اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج
الهندى اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن
منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات فى اجواف
الدجاج اذا رمى فى ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه

ايضا

ايضا وكذلك حجر السلوان ومحكه باللبن ومن علق عليه حجر
القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان
عاشقا لذكر وتمرغ في مناخ بغلة زال عشقه انتهى * تنبيه
التداوي بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز
نكاحه واما التداوي بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان
نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذاك فان
شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر * شربة
يستعمل البوس والعناق * والشفاه الرقاق * في قاعة وايوان
* وبركة وشاذروان * وطعام سبعة الوان * وبنفسج
ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان * ودنان خندريس
* والف دينار في كيس * وجارية من بني الاتراك بساق
سمين * وطرف كحيل * تستعمل هذه الحوائج على نطع احمر
* ذي نقش اخضر * وبعد هذا يدخل الحمام * فانه مجرب
والسلام ❊ شربة اخرى يؤخذ ثلاث مثاقيل من
صافي وصال الحبيب * ومثقال من عيدان الجفا وخوف الرقيب
* وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع * منقاة من غلث الهجر
والانقطاع * واوقية من خالص الود والكتمان * منزوعة
من عيدان الصد والهجران * ويؤخذ عطر النحور * ولثم الثغور
* وضم الخصور * من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة
رمانية * محكوكة مرضوضة منها خمسون صغار اسكرية * وثلاثون
زق الحمام وعشرون عصافيرية * ويؤخذ غنج حلبي وتخيير
عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ اوقيتان من مص اللسان
ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن
ثلاثة دراهم غلمة مصرية * ويضاف اليها حسن الاعكان
المطوية * ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وحطب الطرب

في مرجل النحاس ويصفى الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل
فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام
ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق * ويضاف اليها
قلب لوز العناق * وماء ليمون الاتفاق * ويتناول بعد ذلك
ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من سيل السواقين ويدخل
الحمام * فانه نافع والسلام ﷺ سيف قاطع * وبرق لامع
ساطع * فيما يتعلق بدواء علة الجوى وهو ما حكاه ارباب الرياضي
في الاعداد المتحابة وذلك ان في الاعداد اربعة وثمانين ومايتين
وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢ ١٠ ٢ لـه
وحروف نطقه دفر وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مايتان
وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه ذ لـه
وحروف نطقه كر فعدد عشرين ومايتين يحبه ابدا
عدد اربعة وثمانين ومايتين فاذا كان عند انسان خاتم او لوح
فضة او ما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم
ثان او لوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده اربعة
وثمانون ومايتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومايتين فان
اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب
في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومايتين بالقلم
الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد
المايتين وعشرين وامسك الرقعتين بين الذين قد تباغضا
[illegible] يتحابان وما يكون بينهما شر ما دامت الرقعتان معهما
[illegible] يمكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب
[illegible] احد منهما او لقبه [illegible] في موضع يمر
[illegible] يتحابان [illegible] بماء وسكر
[illegible] انك تطعم

انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين حبة رمان ومايتين وتطعم الاخر المبغوض في ذلك الوقت بعينه مايتين وعشرين حبة من الرمان فأنهما يتحابان ومما يؤكد المحبة فيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلة من ريق كل من المتحابين الى معدة الاخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهوى فاذا استنشقاه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه كسريان النوم في جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فيدب الى العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبة قال الشيخ مغلطاى وهذا الذى اميل اليه ويوشك ان يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالى وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فصل اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من اضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه في الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه ان يطاها في كل اربعة اشهر وتخير المرأة بين ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق في الوطء اكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة وهو احد من القولين

الأولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطاها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه ان يشبعها وطءًا اذا امكنه كما عليه ان يشبعها قوتاً وكان بن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه بن قيم الجوزية وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلق عليه الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفي بضع احدكم صدقة ففي هذا كمال اللذة وكمال الأحسان وحصول الأجر وفرح النفس وذهاب افكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فأن صادف ذلك وجهاً حسناً وخلقاً دمثاً اي سهلاً وعشقاً وافراً ورغبة تامة واحتساباً للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شئ ولاسيما اذا وافقت كمالها فأنها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتنعكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها ويقابله المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شئ لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبيعي وهو ان الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً * وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول اللهم قوّ لي ذكري فان فيه صلاح لأهلي وقال عبدالله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي اهله يقول اللهم شدّ لي أصله وارفع لي صدره وسهل علي

مدخله ومخرجه وارزقني لذة وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

الباب الثامن عشر في تعنت المعشوق * على الصب المشوق * وغير ذلك من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على الجمر * اقول هذا باب عقدناه لذكر التجني * وقول المحبوب اليك عني * فهو باب لمن مر به حلو المذاق * عطر الخلاق بالاتفاق * لا يعرف طعمه الا من ذاقه * وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب * وتقول ضرب الحبيب زبيب

شرط المحبة عند ارباب الهوى * ان المليح على التجني يعشق
لا يصدهم صد * ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حد * فكم رأوا جور الحبيب عدلا * وقالوا الجنة اذا اقبل اهلا وسهلا * * لا يأخذهم فيه لومة لائم * ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

كأنها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

واحسن ايام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد النميري على هذا فقال

راحتي في مقالة العذال * وشفائي في قولهم لا تغال

لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب * لصب الا بخمس خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا تحركه * عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي الصبر منها او عندها جزعي * لكنت املك ما آتي وما أدع

ومن ابلغ ما قيل في عتب الاحباب * قول بعض الأعراب في محبوبته
شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنوا فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الأجر من ربي

وقد قسموا الهجر على اربعة اقسام فقالوا هجر دلال * وهجر ملال * وهجر مكافاة على الذنب * وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور * فأما هجر الدلال * فهو الذ من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة * فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب اخو الحياة وما له * من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبي

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقال ايضا

زيدي اذى مهجتي أزدك هوى * فأجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل * قليل التبذل * فقد قال ابن وكيع

قال الواعشقت كثيرا التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه
فاذا ابتذل واجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لأن النفس الحرة * لا تنفك عن غيره * وقد قال العباس بن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

واما هجر الملال * فيثبطه مرور الايام والليالي * اما بتناءى الدار * او بطول الاختبار * حتى إن عتيم الهاشمية لما اشتراها علي بن هشام حظيت عنده واحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الأوقات وتمادت في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ما أراني الا ساهجر من ليـ * ـس يراني اقوى على الهجران
ملني واثقي بحسن إخاء * ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت واما الهجر الذي يتولد عن الذنب * فالتوبة تزيله من القلب * عند الاعتراف بالذنب * ولا سيما اذا كان المحبوب

ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في المحب وقد اف * لح من كان همته الاتقاء

واما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الداء الذي لا دواء له تلك الحصة وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص * وذوي الاختصاص * اذ حقيقته المشاكلة تمنعه * وصحة المناسبة تدفعه * والذي اقوله انا ايضا ان هذا القسم مرضه مما لا يمكن علاجه * ولا يعذب اجاجه * فالمحبوب فيه لا يلام

* ومحبته كمن يرقص في الظلام * ويسلم على من لا يرد عليه السلام
احبابكم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به اعداؤه
اخذه الارجاني فقال

أأحبابنا لو تجرحون بهجركم * فؤاداً يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتموا قتلي وانتم أحبة * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتموا قتلي وانتم أحبة * اذاً فالاعادي واحد والحبائب

الباب التاسع عشر في الدعاء على المحبوب * وما فيه
من العقد المقلوب * كقولي

دعوت على الحبيب بعشق ظبي * يقاسي منه انواع الجفاء
فواصله وبالغ في صدودي * فكان اذا على نفسي دعاءي

اقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه *
واراد ان يدعو على روحه فدعا على نفسه * فهو يتشهى ويشتكي
* ويتشفى ويتبكى * لا يثبت على حال * ولا يفرق بسيف اللحظ
بين الماضي والحال * فبيناهو يشكو من محبوبه اذاهو يشكو
اليه * وبيناهو يدعو اله اذاهو يدعو عليه * فمن احسن ما قيل
في الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله شبابه
* وجعل من الرحيق المختوم شرابه *

اعز الله انصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتداراً * وان تك ضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر يوماً * على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الأعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين

وقوله ايضا

ادام الله ايام الوصال * وخلّد عمرها تيك الليالى
واسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدالى
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

وقال علاء الدين على بن المظفر الكندى

ادام الله ايام العذار * وبارك فى لياليه القصار
واغنى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار
ولا زالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تضفو * ثياب العار فى خلع العذار

وقال ابن ابى الحديد

لا عانقتك من البرية كلها * الا يدى اليمنى وبند قباكا
كلا ولا رشفت رضابك بعد ما * قد ذقته من فيك الا فاكا

وقال آخر

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك او للأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

ومن احسن ما قيل فى الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما ادعو على هاجرى * الا بان يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم فى حقى

وقال الآخر

ياذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا
وهمتى فيه حتى * اعاد رشدى ضلالا
ادعو عليك وقلبى * يقول يارب لالا

وقال الآخر واحسن ما شاء

قد قلت لامت حتى * اراك في العشق مثلي
وقلت في السر مني * يا رب لا تستجب لي

وقال الآخر

ايها المعرض صفحاً * عن خطابي وجوابي
لا ازال الله عمري * او يريني بك ما بي
رب فاجعله دعاء * خائباً غير مجاب
رق قلبي ان يرى قد * بك في مثل عذابي

وقال الآخر

يا رب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في طرف مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

وقال الآخر

كم جفاني فرمت ادعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لا شفى الله طرفه من سقام * واراني عذاره وهو سائل

وقال ابن سنا الملك

أسر لطول اسري في يديه * فيغضب اذ اسر لطول أسري
سالت الله ان يبلى بعشق * فيصبح عاشقا لكن بهجري

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم ما بي * وانت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي * وصرت في مثل حالي
بل عشت في طيب عيش * تفديك نفسي ومالي
دعوت اذ ضاق صدري * عليك ثم بدا لي

وقوله ايضا

فهم غالط مني فهما * جاءني يسأل عما علما
مقسماً ما بلغته شكتي * كاذب والله فيما زعما
رق للمظلوم منا رحمة * ثم لا ادعو على من ظلما

وقال منه

وقال ابن منقذ

يا ظالماً يعرض عني اذا * دعوت غضبان على ظالمي
اظنه انت والا فلم * تخشى دعاءى دون ذا العالم
يا رب لا تسمعه فيه وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر

قلت لمحبوبي وقد مر بي * محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي يأخذ لي طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

وقال الآخر

ولما بدا لي انه غير زائري * وان هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت ان يهوى سواي لعله * يقاسي مرارات الهوى فيرق لي

الباب العشرون في الخضوع * وانسكاب الدموع

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اصبح دمعه مسكوباً على مسكوب * فبات وهو من جريانه كالروح كما قيل انبوب على انبوب * ولا سيما اذا تمادى الهجر * او كان عليه بعض حجر * هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر * وينشد اذا عزم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو * ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لي * وانا السميع له المطيع
بالله قل لي ما جرى * بعدي فقلت له الدموع

وقال الآخر

قال لي من احببت والبين قد جد * وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي * قلت ابكي عليك طول الطريق

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سري * وما اطلقت لي بالوصل اجره
ولم ارني على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعي في الشمس عصره
وقوله ايضا وهو من نثره الذي اصبح بين النجوم نثره * فيصه
حتى تنجلي هذه الغمره * وتقلع سحائب هذه السكره *
وتجف مناديل الجفون فأنها صارت بالدموع عصره * فقاتل
الله البين * ما اكثر فضوله بدخوله بين المحبين * وفي
هذا المعنى الباهر * يقول ابن عبد الظاهر *

لا تسلني عن اول العشق اني * انا فيه قدم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك ارخ * ت غرامي مستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الأماق

وقوله ايضا

لا تعذل المشتاق في اشواقه * حتى يكون حشاك في احشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

وقوله ايضا

وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل

وقول الآخر

شققت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وقال الآخر في الخضوع * وانسكاب الدموع *

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وعض اليد
وخدي مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

وقال ابراهيم بن المعمار

وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

وقال الآخر

وقائلة ما بال عينك مذ رأت * محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعته * فحق لها من فيض ادمعها غسل

وقال السري الرفاء

بروحي من ردّ التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه * كأنّ دموع العين تعشقه معي

وقال بن وكيع

وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر إلّا * ظلّ يذكي على القلوب الحريقا

وقلت من قصيدة حجازية

خليلي روض الرقمتين طرازه * اذا لمع البرق الحجازي مُذهب
فلا تعجبا من سحب دمعي اذا همت * فما كل برق لاح للعين خُلّب

وقلت من اخرى حجازيه

جفني القريح على الخدين قد وكفا * فحسبه ما جرى من ادمعي وكفا
ان عزّ نظم دموعي حين انثره * فالدرّ ما عزّ حتى جاوز الصدفا
لا تعجبوا من وفا دمعي غداة جرى * من عينه ما جرى فالبحر فيه وفا
ما زلت ابكي على وادي العقيق الى * ان قيل هذاك من عينيه قد رعفا

وقلت ايضا من قصيدة

بكيت على ارض بها كنت ماشيا * فاشبهت في دمعي على صخرها الخنسا
تجرأت يا دمعي فلم تجر دائما * فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما اقسى

وقلت ايضا من قصيدة

ان عيني على العقيق اذا لم * يحك دمعي بلونه حمراء
منذ امسى لجين دمعي نضارا * صح عندي تعيني الكيمياء
لا تسل ما جرى من الدمع لما * صار من عاذلي على اجتراء
طلع الليل ادمعي فوق خدي * مثلما تطلع النجوم السماء

وقلت من قصيده

لئن فترت عيني بجري دموعها * فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاءه * فنهد الذي حلت بطرفي عاقد

وقلت من قصيد

سقيت بحر الدمع بار رياضها * وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى * قطعت حبال الدمع من حيث رقت

وقلت من قصيدة

خالفت فيك معنفا ونصيحا * واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فمدامعي * كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صبت على سفح المقطم دمعه * تجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا

وقلت ايضا

الطرف من فقد الكرى * يشكو الاسى اليه
والخد من فرط البكى * ياما جرى عليه

وقلت ايضا

ارحم رحمت لوعتي * وابعث خيالا في الكرى
ودمع عيني لا تسل * عن حاله ياما جرى

كان المسعودي شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ما ذاك مني * لسلوة وعزاء
لكن دموعي شابت * من طول عمر بكائي

وقلت [illegible]

وقائلة ما بال دمعك ابيض * فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
الم تعلمي اني بكيت زمان عمره * فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي
وقيل لا دعوي ولا دمي * يرين ولكن لوعتي وتحرقي

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك اسودا * وقد كان مبيضا وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعي من البكى * وهذا سواد العين فهو يسيل

وقال آخر

كانت دموعي حمرا يوم بينهم * فمذ نأوا اقصرتها بعدهم حرقي
قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

وقال الناشئ الاكبر

بكت للفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الباب الحادى والعشرون في الوعد والاماني * وما فيهما من راحة المعاني * اقول هذا باب عقدناه لذكر الاماني التي لابد منها * ولا غناء عنها فلا اقل منها *

اعلل بالمنى قلبي لعلي * أروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمني

ولم يزل المحبون يعللون بالاماني نفوسهم * ويترعون براح راحتها كؤوسهم * فمنهم من فاز بالامنيه * قبل حلول المنيه * ومنهم من مات باعظم غصه * وما وقع له الحبيب على قصه

من نال من دنياه امنية * اسقطت الايام منها الالف

وهذا النوع الاخير كثير * والسقيم به من المحبين جم غفير

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

نعم منهم من مات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد * بعيدا من لقاء الردا على ميعاد * يصدق قول الحبيب ويكذبه * ويمتحنه ويجربه * ويقول

ما زلت منتظرا لوعد سيدي * في البيت ملتفتا لقرع الباب

يا كاذبا في وعده بلسانه * من لي بعض لسانك الكذاب
طالما آيس من وعد المحبوب * وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد عرقوب * كما قيل

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعداً واخلف واصل المثل المذكور ان عرقوباً كان له اخ فسأله شيئاً فقال له عرقوب اذا أطلع نخلي فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمراً فلما صار تمراً اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيئاً فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب قال الشماخ

وواعدتني ما لا احاول نفعه * مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال ابن حجاج

فديت من لقيني مثلما * لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتني * فقال لم نفعك يا اشعب

وقلت انا من قصيدة حجازية

يهددني بالهجر في كل ليلة * اصدق فيها وصله واكذب
ولما وردنا ماء مدين قال لي * وحق شعيب انت في الحب اشعب

والناس في الأماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه * فيريح بها النفس * ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس * ومنهم من يقول ليس الترجي مما يجي فيرى الاماني من الخداع * والوقوع في النزاع * ولكل من القولين حجة * ومذهب مسلوك المحجة * ومن احسن ما سمعته في القول الاول قول بعض بني الحارث

أماني من سعدى حسان كأنما * سقتنا بها سعدى على ظماء برداً

منى ان يكن حقا يكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
وقول الآخر
ولما حللنا منزلا طلّه الندى * انيقا وبستانا من النور خاليا
أجدّ لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنتَ الأمانيا
وقال افلاطون الأماني حُلُم المستيقظ وسلوة المحزون
وقال غيره الأماني رفيق مونس ان لم ينفعك فقد الهاك
وقيل لاعرابي ما امتعُ لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصّديق واماني تقطع بها ايامك وقال القاضي الفاضل واحسن ماشاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت ايامنا * وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * وعاودتنا المنى وماكانت تخطر وان خطرت فانها كلامنا *
اتمنى تلك الليالي المنيرا * ت وجهد المحبّ ان يتمنى
وقال ياقوت الرومي
لله ايام تقضت بكم * ماكان أحلاها وأهناها
مرّت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها
وقال الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس
أصبوا الى البان بان عنها جنى * تعللا بليالي وصلها فيه
عصر مضى وجلابيب الصبى قشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه
وقال العفيف اسحاق كاتب الانشاء للناصر داود
لولا مواعيد آمال اعيش بها * لمت يا أهل هذا الحي من زمني
وانما طرف آمالي به مرح * يجري بوعد الأماني مطلق الرسن
وقال ابن خفاجه
وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا ان اضاحك ساعة * ثغور الاماني وجوه المطالب
حسبت الدياجي فيه سود ذوائب * لها عنق الأماني بيض الترائب

وقال آخر

في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقلت انا

رق للصب غدا مما يكابده * من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا اقصى امانيه

وقلت ايضا

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا * لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا

اكم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما * ارى لداء غرامي في هواه شفا

وقال بن زيدون

لا سرحن نواظري * في ذلك الروض النضير

ولا كلنك بالمنى * ولا شربنك بالضمير

وقال آخر

عللينى بموعد * وامطلي ما حييت به

ودعيني افوز منـ * ـك بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

وقال آخر

وشادن قلت له * هل لك في المنادمه

فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

وقال ابو بكر الخالدي

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى * ما تعديته ولو بالمنون

اشتهي ان احل في كل طرف * لا اراه بلحظ كل العيون

وقال ايضا

افديك قلبي فانت جميعه * يا ليتني اصبحت بعض مناك

يدني مزارك حين شط بك النوى * وهم اكاد به اقبل فاك

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغـ ـض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيـ ـك باشراق ذا وبهجة ذاكا

وما احتج به ارباب القول الثانى

واكثر افعال الغوانى اساءة * واكثر ما تلقى الأمانى لكواذبا

وقال الخالدى

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس اموال المفاليس

وقال بن شرف القيروانى

غلف تمنوا فى البيوت امانيا * وجميع اعمار اللئام امانى

وقال بن المعتز

لا تأسفن من الدنيا على امل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى اسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى * وحكى ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقه فيها لبن وهو يقول متمنيا انا ابيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى واخطب بنت الحجاج واتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقه وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال اليس لو رفست ابنتى هكذا لجعتنى فيها وقال على بن عبيدة الامانى مخايل الجهل وقال غيره الأمانى تخدعك وعند الحقايق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى اراك ومن تهوى وانت كما * تهوى على رغمهم روحين فى بدن
هناك انشد والآمال حاضرة * هنيت بالملك والاحباب والوطن
فوعده الملك المظفر اذا تملك حماه ان يعطيه الف دينار فلما ملكها
انشده مولاى هذا الملك قد لك * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * فذا أوان الموعد الصادق
فوقع له بالف دينار واقام معه ولزمته اسفار فانفق فيها
المال الذى اعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال
ذاك الذى اعطوه لى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبنا الله ونعم الوكيل
فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد انزله بها فقال
اتخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم اعدم مكانا يضمنى * وان مت تدرى ذكر من سيموت
فحبسه المظفر فقال ما ذنبى اليك قال قولك حسبى الله ونعم
الوكيل فأمر بخنقه فلما احس بذلك قال
اعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتنى ديتى
قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبى الله
ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
فكان حاله معه كما قيل
فكنت كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى
ولله القائل
ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع اذى * سوف ياتيك الاذى من قبله
ذكرت هنا قول الآخر
لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
رأيت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الأليم

وقال بن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى نفضنى من يده ورفضنى من باله * وانت الذى فصلنى قبل ان يستكمل الوصل مدة حمله وفصاله *

وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم
لعل عينا أصابتنا فلا نظرت * أو واشيا قال فيما بيننا كذ
لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الأجسام بالعلل
لعل الرضى منكم وكيف منالم * يسر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى فى النفس يرحل اوانه * وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدنى الى امل * قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضى ممن كلفت به * يوما ستبهج ما قالته حسادى
لعل زمانا قد تولى سينثنى * الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع * يجرها الجانى على مفرق الذنب
لعل سلوا للفؤاد يعوده * وذا غلط حاشى فؤادى ان يسلو
لعل وما تغنى لعل وانها * علالة صب واستراحة هائم
ولا أقل من التعلل بلعل * وما أقل غناها وأكثر عناها

الباب الثانى والعشرون فى الرضى من المحبوب * بأيسر مطلوب * اقول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع * والعاشق القنوع * ممن يقنع من الحبيب بالنظر * اذا حضر * ويرضى منه بالسلام * ولو مرة فى العام * فهو فى الرضى عنه بالنزر اليسير كما قيل (قليلك لا يقال له قليل)

انا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال المعرى

لا قائل فى العام الذى ولى ولم * يسألك الا قبلة فى القابل
ان البخيل اذا تمد له المدى * فى الجود هان عليه بذل الباذل

وقال جميل
اقلب طرفي في السماء لعله * يوافق طرفي طرفه حين ينظر
وقال ايضا
واني لأرضى من بثينة بالذي * لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا تلتقي وأوائله
قلت انظر الى هذا الشاعر الظريف * والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل * واكتفى باللمح من خلال الاستار والكلل * ومن هذا المعنى المبتز * قول ابن المعتز
الست أرى النجم الذي هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الأفق لحظي ولحظها * فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع
والعلم المشهور في هذا الباب * قول بعض الاعراب *
أليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علاني
كان الشيخ اثير الدين ابو حيان يقول عن صاحب هذه البيتين هذا العاشق القنوع * وقال الاخر
الى الطائر النسر انظري كل ليلة * فأني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده * فنشكوا جميعاً ما تجن الضمائر
وقال بعض الأعراب
وما نلت منها وصلها غير انني * اذا هي بالت بلت حيث تبول
ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء في طاقة فأحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى ان عيا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه فبالت له في الصحيفة وقالت للجارية اتبعيه

وانظري مايصنع بذلك فلم تزل الى ان دخل بعض الخربات فوضع
ايره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق
وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال
لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد ان تكون في ضيافتي
فقال له سليمان انا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة
كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد
الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي
الله كلوا من فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده
من ذلك حولا كاملا اخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح

اختلاط الماء بالراح * اقول هذا باب عقدناه لذكر من
افرط في العناق * اذا التفت الساق بالساق * فاصبح هو
ومحبوبه كالشئ الواحد في رأي العين * حتى عند الاحول الذي
يرى الشئ شيئين * وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي
قلب صاحبها بالوجدان * ولا تنقطع حبات دموعه
بالاتصال * كما قيل

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له * من شدة الحب قد بعدت فاقترب

وقال ابن الرومي

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما القى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال آخر

سريت اليه والظلام كأنه * سهري كري والنجم في الافق شاهد

فلو انّ روحی مازجت ثمّ روحه * لقلت ادن منی ایها المتباعد
وقال ابو الحسین التونسی
ثم اعتنقنا فترانا معا * فی ظلمة اللیل ونور العتاب
جسمین صارا فی الهوی واحدا * کشکلتین اختلطا فی کتاب
وقال خالد الکاتب
کأننی عانقت ریحانة * تنفست فی لیلها البارد
فلو ترانا فی قمیص الدجی * حسبتنا فی جسد واحد
وقال نفطویه النحوی
ولما التقینا بعد بعد بمجلس * تغازل فیه اعین النرجس الغض
جعلت اعتمادی ضمه وعناقه * فلم یفترق حتی توهمته بعضی
وما احسن قول ابی بکر الاربلی
هم الرقیب لیسعی فی تفرقنا * لیلا وقد بات من اهواه معتنقی
عانقته فاتحدنا والرقیب اتی * فلم یر الا واحدا ولی علی حنق
وقال سیف الدین المشد
ولما زار من اهواه لیلا * وخفنا ان یلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفیه فصرنا * کأنا واحدا فی عقد کاتب
وقال آخر
توهم واشینا بلیل مزاره * فهم لیسعی بیننا بالتباعد
فعانقته حتی اتحدنا تعانقا * فلما اتانا ما رأی غیر واحد
قال قاضی القضاة کمال الدین بن العدیم لما سمع هذین
البیتین ام سکه امساك أعمی وقال ابن الفضل
سقیا العیش مضی والدهر یجمعنا * ونحن نحکی عناقا شکل تنوین
فصرت اذ علقت کفی حبائلکم * بسهم هجرك ترمی ثم تنوینی
ومثل هذا القول فی عدم السلامة * وتوجیه الملامة *
قول بن سنا الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي
وبتنا كجسم واحد من عناقنا * والاحرف في الكلام مشدد
لو قال كحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشدد في اللفظ
معدود عند العروضيين بحرفين واما في الخط فلا وفعلى هذا
لا يتم له ما اراد * ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد * ولا
عذر له لان الوزن ساعده واعانه على تحصيل هذه الفائده
وقال بعض شعراء الذخيره
بتنا وردنا الحجاب يلحفنا * برد وقار والشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد * صارا كفرد بالروح يتصل
لو ان غيث السماء امطرنا * لم يصب الارض تحتنا بلل
قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن
غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكره فكان في بعض
ما قاله انا اشعر الناس فقلت له بماذا قال قال بقولي
الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب
فقلت له والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال باي
شيء قلت بقولي
الا والمنازل من نجد وليلتنا * بفيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه يوما فما انفك لا يدو ولا عضد
والاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكي
ومرتجة الارداف مهضومة الحشا * تموت بسحر عينيها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور
ذكرت بقولي في اول الباب لا احول الذي يرى الشيء شيئين
قول بعض المغاربة في مليح له رقيب احول

بأبى رشا يحوى مع الاحسان * ملكية موضوعها انسانى
احوى الجفون له رقيب احول * الشئ فى ادراكه شيئان
ياليته ترك الذى انا مبصر * وهو المخير فى الغزال الثانى

وقال بن اسرائيل من دوبيت

قد بالغ فى حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذى حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لى لم ذا كلفت باحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن اوصاف اختها * فعادت بطول الدهر تنظرها شذرا

الباب الرابع والعشرون فى عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب * اقول هذا باب عقدناه لذكر من ادى به النحول * الى الذبول * واصبح كالطلل بين الطلول * فهو من شدة الضر * كما قال صر در *

وكم ناحل بين تلك الخيا * م تحسبه بين اطنابها
فحوبه فى الجفاء واحد كالالف * وهو فى رقته كالخيال يختفى
الى خلف * وما رأيتى كعود الخلال * وجسمى كما ينسج العنكبوت
فقالت بموت الم تنبك * فقلت انبك انى اموت

والعلم المشهور فى هذا الباب قول المتنبى

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد فى مثل الخلال اذا * اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا اننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقال ايضا

لو قلم القيت فى شق رأسه * من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقال ايضا

الا لم طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

وقال المعمار

ترك اصفراري والنحول كلاهما * فى العشق جسمي ينذر العشاقا
فكأنه الف بخط مذهب * جعل الدجى ارقى له اوراقا

وقلت انا من قصيدة

كأن ضباب الافق ندسرت به * نسيم الصبا من نحو ارض الأحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم * ولم يبق منه غير صوت وأنة

وقال المتنفل

ان جفاني الكرى وواصل قوما * فله العذر فى التخلف عني
لم يخل الهوى بجسمي شخصا * فاذا جاءني الكرى لم يجدني

وقال ابن لؤلؤ

وأرقني خيال عن حبيب * تناءت داره لما رآني
فمن سهري يلم فما أراه * ومن سقمي يطوف فما يراني

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر

ايها الصائد باللحظ ومن * هو من دون الورى مقتنصي
لا تسم طائر قلبي هربا * انه من اضلعي فى قفص

وقال مضر المغربي

اذابه الحب حتى لو توهمه * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكلمه

وقال محاسن الشواء

ضنيت وضن من اهوى بوصلي * وعادانى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا * وان خالفته صلة وعائد

وقال الأرجاني

ولولا اسناها لم يروني من الضنى * ولا اصبحوا من اجلها خصماء
ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء

وقال آخر

قد كان لي فيما مضى خاتم * فدق جسمي فتمنطقت به
وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

وقال ابو العتاهيه

لم يبق إلا القليل في وما * احسبها تترك الذي بقيا

وقال بن عبد ربه

رايت العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا لطاروا

وقال آخر

ولما ان راى اهلي سقامي * تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عني * مخافة ان أطير مع النسيم

وقال آخر

واذا عائد دنا للكلام * لعبت بي انفاسه في الفراش

وقال آخر

عبثت به ايدي الضنى فكانه * سر خفي في ضمير كتوم

وقال ظافر الحداد

انحلني حبك يا متلفي * وزادني الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمى بي الهوى * في ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين القفصي

يقول جسمي لنحولي وقد * أفرط بي فرط ضنى واكتئاب
فعلت بي يا سقم ما لم يكن * يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط في هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال * واحسن في المقال

واها على الخصر الرقيق وانما * قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلي له تعنيق

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

قلت اخذه من قول بلديه المجد بن العفيف التلمساني في [illegible]
قصير على الحسن فقصر * وجد في خلقه ليستر على الحب في ستر
[illegible] * [illegible] لا جاج والكوثر *
والخصر والخصر * لا ترى قول ابن العفيف * وحلاوة
منطقه الظريف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذي جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

وقال ايضا

شكوت الى ذلك الجائر صدّه * تكنف جفني لم قط لا يغفو
فلا انت لي لا الأعطاف والخصر رقة * ولكن تجافى الشعر وانقال الردف

وقال ايضا

تلاعب الشعر على ردفه * وقع قلبي في العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل

ومن ذكر الردف ما احسن قول الآخر

للبدر من جبينه نكتة * وفترة في لحظي من طرفه
ذا مشى جاذبه ردفه * كأنه يمشي الى خلفه

وقال الشيخ صفي الدين الحلي في مليح راقص

جاء وفي قده اعتدال * مهفهف ما له عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * تثنى الى نحوه العقول

يجول ما بينا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وقال ابن رشيق

أحمل اثقالي على ردفه * وامسك الخصر لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته

سالت النقا والبان يحكي لناظري * روادف أو اعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

الباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده الاحباب * من الامور الصعاب * وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق * والم الفراق كقوله

تشكي الم الفراق الناس قبلي * ورقي بالنوى حي وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعي * فاني ما سمعت ولا رأيت

اقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار * في طلب الاوطار * فهو لا يزال مشغولا بحاله * متقلبا بتحت احواله * يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال * ما هو اثقل من الجبال * ويسمح في مقابلة الحبيبة اليسيرة منه بالنفس والنفيس * قال الطغرائي

ومن طلب الاحبة دون سعي * ببذل النفس من تعب بن هاشم
ومن طلب الغنائم غير بعيد * نضى من دون مطلبه حسامه

وقال ايضا

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك واني * لاعجز عن حمل القميص واضعف

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شيء به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر

وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

وقد انصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو احسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس اوقعاه في هواه ومن احسن ما سمعته في طلب الاوطار * وركوب الاخطار * قول ابن خفاجه

لقد جبت دون الحي كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرق * منيم ثوب الافق بالانجم الزهر
اشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلما التقينا لا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد اطل على نهر
ولا تمت لا غرة فوق اشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
[illegible] وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر

قلت [illegible] ان هذه الابيات التي افرغت في قالب عجيب * واسلوب غريب * فبينما صاحبها يصف ادهم الليل * اذ ما [illegible] الخيل كالميل * وبينما هو يكافح الاسود * اذا به يتنهد على النهود وبينما هو يقيم قدود الملاح * مقام الرماح * اذا به يقول [illegible] * من صدع نيرانها * فانا ابن قيس لا براح * قد [illegible] الاستعارة * وساير بنظمها المعالي وعددها [illegible] في النجوم [illegible] كالنجوم * [illegible] النفر [illegible] هذ[illegible] النسيط * قوله [illegible]

وبيا طرقت [illegible] حد على [illegible]
في الطت [illegible] ورست [illegible] لات بدو [illegible]

وقال ايضا

يعللني منه بموعد رشفة * خيال له يغري بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من اسنة مران

وقال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه سمعه * من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوماً لا خلاق لهم * لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

وقال الاخر

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يطلب العلياء لم يغله المهر

وقال اخر

يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام ليلا * لقد اطمعت نفسك بالمحال

وقال المتنبي

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون في طيب ذكر الحبيب)

*(اقول) * هذا باب يتعقد ذكره لذكر من صال وجال * وذكر محبوبه حين تكسرت النصال * في كل موقف الوقوف فيه هزيمة * والموت غنيمة * ولا سيما اذا اقيمت للقسي مقام الحواجب * ولتبست الخوذ بنهود الكواعب * واشتبهت الرماح بالقدود * والبيض بحمرة الخدود * هنالك يجعل حبيبه المشار اليه * نصب عينيه لا يلهيه عنه ضرب الحسام * ولا جعله غرضاً للسهام * وعلى هذا حكاية الطعان التي ارتجى فيها علي عنترة العبسي * وزاد بها في الوفاء بشرط المحبة على كل جني وانسي * وهي ما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ ممن خبر وخبر * ونصدى وتصدر * وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب ابا اسماعيل

الحسين الاصبهانى المنشئ المعروف بالطغرائى كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين اخيه السلطان محمود بالقرب من همذان والرى وانهزم الملك مسعود كان اول من اخذ الطغرائى فلما عزم السلطان اخو محمود على قتله بعد ان قيل له عنه اشياء من جملتها انه ملحد وانه يحب المملوك الفلانى من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه فاعزوه عليه الى ان امر بقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل ذلك واوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائى وامره ان يسمع ما يقول وقال للارباب السهام لا ترموه الا اذا اشرت اليكم فوقفوا والسهام فى ايديهم مفوقة لرميه *(واخبرنى)* بعض من حكى لى هذه الحكاية من اهل الادب ان اول من فوق اليه السهم المملوك المتهم هو بحبه فانشد الطغرائى فى تلك الحالة يقول

ولقد اقول لمن يسدد سهمه * نحوى واطراف المنية شرع
والموت فى لحظات احور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادى هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فأمر السلطان باطلاقه * وحل وثاقه * لما رآه من ثبات جنانه * وسحر بيانه * وقد زاد هذا تواشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندى حيث يقول

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما ادرى وانى لصادق * اداء عرانى من خيالك ام سحر

وقال عنترة

سمط ثانى

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم
وما ارق قول الطغرائي ايضا
انى لاذكركم وقد بلغ الظما * مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد
وقال آخر
ذكرت سليمى وحر الوغا * كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها
وقال ابن عمه
الا من [illegible] * وقفت وللظبى حولي صليل
واني جلت في جيش الاعادي * برمحي وهو في فكري يجول
وقال [illegible]
ولقد ذكرتك [illegible] * من حولنا والسمهرية شرع
وتحركت [illegible] الحشاء * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن العجائب [illegible] شيمتي * حفظ الوداد فكيف عنه ارجع
وقال [illegible]
[illegible] معبس * والجو منغمس به المسبار
و[illegible] حديده * ويمينه حذرا على يسار
[illegible] اتيت [illegible] * لتضيق منه برحبها الاقطار
وقال ابن رشيق
ولقد ذكرتك في السفينة والردى * متلاطم متوقع الامواج
[illegible] الرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجي
[illegible] بالاعادي عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وانا وذكرك في الذ تناجي
وقال ابو الثناء محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيب ذكرك المستعذب
وقال صفي الدين الحلي
ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغني وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجندل في جندل * متاوبين معفر في مغفر
فظننت اني في صباح مسفر * بضياء وجهك او مساء مقمر
وتعطرت ارض الكفاح كأنما * فتقت لنا ارض الجلاد بعنبر
وقال ايضا
ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام في افق العجاجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتادني من طيب ذكرك نشوة * وبدت علي بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي * والراح تجلي والكؤس تدور
*(وقال آخر) * وله حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدم
مذكورة في منازل الاحباب
ولقد ذكرتك والرماح تنوشني * عند الامام وساعدي مغلول
ولقد ذكرتك والذي انا عبده * والسيف فوق ذؤابتي مسلول
وقال ابو طالب الرفاء
ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وللناس في هذا البيت كلام وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان
ولقد ذكرتك والبحر الخضم طفت * امواجه والورى منه على سفر
في ليلة اسدلت جلباب ظلمتها * وغار كوكبها عن عين منتظر
والفلك في وسط الامواه تحسبها * عينا وقد اصبحت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدري فيا لك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي * وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وقلت اتانى رمل طريق مصر الى الشام من مقامة

ولقد ذكرتكم برمل روعه * فى قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا * بسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبرى هام كل مدجج * من كف اشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع فى الدجا * كوميض برق فى الدجا متهلب
وعلى العوالى كل نسر واقع * يفرى اديم الليث منه بمخلب
والرعد للارماح رعد قاصف * والبحر يهدر كالهزبر الاغلب
والترب بالدما والبحر بر * بالقرنج وكل كلب اجرب
وعلى السواحل غارة شعواء ما * فيها لمن يرجو النجا من مهرب
وانا باوتار القسى كاننى * فيه أغنى بالرباب وزينب
واقول ليتا حبتى يدرون ما * انا فيه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج * بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن فى بلد حرام * به لله اخلصت القلوب
اتوب اليك يا رحمن مما * جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فاما عن هوى ليلى وتركى * زيارتها فانى لا اتوب

وللناس على هذا البيت الاخير كلام * (وحكى) * عن ليلى الاخيلية انها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذى قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال اقسمت عليك الا ما دنوت منه فسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندقت عنقها وماتت

من وقتها ودفنت الى جانب تربه وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث قال

لو حز بالسيف رأسي في مودتها * لمر يهوى سريعا نحوها رأسي
ولو بلى تحت اطباق الثرى جسدي * لكنت ابلى وما قلبي لكم ناسي
لو يقبض الله روحي صار ذكركم * روحا اعيش به ما دمت في الناس

وقال آخر

ولقد ذكرتك والظلام معتبس * وانا قعيد في البيوت وحيدتي
والجو يصفر من تودى في الهوى * ما فيه من خلل يكون عنيدتي
والبق والناموس حولي عسكر * يتقاتلون على شريب دميتي
والفار يلعب في الزوايا دائما * وينط كالقعقاع فوق كويرتي
والعنكبوت يحوك حلة خيمة * يصطاد ذبابا يجوز كويتي
والاكل خبز مثل راسي يابس * والشرب مر من دخين لبيدتي
وسماع نغمات ظنين بعوضة * وصرير صرصرة وصفر بويمة
فوددت تعنيق القويرة كلما * نطت لانك مثلها في الخفة
وحسدت ايدي العنكبوت لشبهها * باصابع لك شبهها في الرقة
وطربت من صوت الصراصر نغمة * اذ اشبهت نغماتها صوت حبيبتي
فبكيت شوقا حيث لا انت معي * تتنعمين تنعمي في غرفتي

(الباب السابع والعشرون)

في طرف يسير من المقاطيع الرائقه * والاغزال الفائقه * مما اشتمل على ورد الخدود * ورمان النهود * وغير ذلك

*(اقول) * هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب * ومحاسن التشبيب * مما يطرب سماعه * ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه * كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

ايشنعون لي يا طلعة البدر طالبه * ومن شقوتي خط بخديك نازل

نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول
وما كنت مجنون الهوى قبل ان يرى * لقلبي من صدغيك في الاسر عاقل
ولولا سنان من لحاظك قاتل * لما كنت ادري ان طرفك ذابل
ولم لا يصح الوجد فيك وناظري * لنسخة حسن من سناك يقابل
ولو ان قيسا واصفا منك وجنة * لا عجزه نبت بها وهو باقل
* (نعم) * هذا الباب من اوسع هذه الابواب مجالا *
واجراها جريالا * واحسنها خطايا * واعذبها نضايا *
فيه يتميز ثمين الشعر من غثه * وجديده من رثه * ولا
يكاد يجود فيه الا ذاك * لا يدركها الا كثير الدراية وما
ادراك * وقد تقدم ان اغزل بيت قالته العرب قول بشار
انا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق
وقال محمد بن العفيف وقد احسن ما اراد
وعيون امرضن جسمي واضحى * ن نقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زهور * ما لايام وردها من زوال
لم اكن من جناتها اجتنيته * وانا بجمرها اليوم صالي
وقال ايضا
يحكي الغزال نظرة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
احسن خلق الله لفظا وفما * ان لم يكن احق بالحسن فمن
في ثغره وخده وشكله * الماء والخضرة والوجه الحسن
وهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقي المقتول بالقاهرة
وقال ايضا
اذا ما رمت حل البند * قالت معاطفه حمانا لا يحل
وان حلت بوجنته مدام * جرى اعذاره دور وتنزل
وقال ايضا
بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في فحم

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

وقال ايضًا

حلى من الشهد من هويت وكم * فتت به في الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته * وثغره سكر سنينات

وقال آخر

ومليح قال صفنى * انت في القول فصيح
قلت قولا باختصار * كل ما فيك مليح

وقال ابراهيم المعمار

ومليح قال صف حسنى ازداد سرورا
كم حوى جفنى معنًى * قلت الفا وكسورا

وقال ايضًا

حاكمت في شرع الهوى قاتلى * ولى دم طل على خده
فانهم الحاكم لحظا له * بحقق الفتنة من عنده
وماذ للحق بنلمتا راى * قد عزى مالع قده

وقال خطيب سمهود

قال لى من هويت شبه قوامى * وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل * صافحته يد النسيم فمالا

وقال سراج الوراق

قالت لاهيف لى تضع الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
ان تقول الوشاة تغتدى ريح * قلت اخشى يا غصن ان يستميلك

وقال ...

قال لى هيف لم عنه صف لى * هيفى قلت يا رشيق القوام
انت قد لولا اجوره لحظيك لغنت عليه ورق الحمام

وقال النور الاسعردى

قد تغنا با حمرار ما و بخضرة والاهيف الرشيق القوام

وتركنا مناصب الناس زهدا * فلماذا يؤذوننا بالكلام

وقال بن خفاجة

ومهفهف طاوي الحشا * كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

وقال كثير عزة

الله اعلم لو اردت زيادة * في حب عزه ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزه ركعا وسجودا

* (وقال ايضا) * من ابيات وهو احسن ما قيل في حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد في الكامل

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وقال ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت * ود المحدث انها لم توجز

وقال ابن حمديس

لا يملُّ الحديثُ منها مُعادًا * كانتشاق الهواء ليس يُملُّ

وقال ابن ابي الحديد

بالله ضع قدميك فوق محاجري * فلقد قنعت من الوصال بذاكا
واطل محادثتي فان مسامعي * تهوى حديثك مثلما اهواكا

وقال آخر

ومليح قلت ما الاسـ * ـم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا * هي وصفا لين اعتدالك
قال كالبدر وكالغصـ * ـن وما اشبه ذلك

[illegible] العطوي

ذات خدين ناعمين ضنينين * بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير * من عقار وروضة من اقاح

وقال امرؤ القيس

خليلي مرا بي على ام جندب * نقضي لبانات الفؤاد المعذب
الم تريا اني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال النميري واحسن في الوصف

وبيضاء مكسال الكعوب خريدة * لذيذ لذى ليل التمام التزامها
كأن وميض البرق بيني وبينها * اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

وقال ابن ابي ربيعة

طفلة باردة الصيف اذا ما * معمعان القيظ اضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى * تحت ليل حين يغشاه الصرد

وقال المتنبي

ارخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتني القمرين في وقت معا

وقال ابن المستوفي الاربلي

رأت قمر السماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

(قلت) * وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا وقال آخر

بروحي وجسمي ذلك العارض الذي * غدا مسكه فوق السوالف [illegible]
درى خدها اني لجن من الهوى * فاظهر لي قبل [illegible]

وقال سعد الدين محمد بن عربي

[illegible] عارضاه في نمط * [illegible]
[illegible] فوق عاج قد نقط * [illegible]

وقال آخر

رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر

برزت فقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال الصقيل
ابكي فانظر ادمعي في خدها * تجري فاحسب انها تبكي لي

وقال بن قلاقس

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

وقال الخبزارزي

رايت هلالا ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر

وقال محمد السلامي

بدايع الحسن فيه مفترقه * واعين الناس فيه متفقه
سهام الحاظه مفوقة * فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته * هذا مليح وحق من خلقه

وقال بن رشيق

معتدل القامة والقد * مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد

وقال ايضا

شكوت بالحب الى ظالمي * فقال لي مستهزئا ما هو
قلت غرام ثابت قال لي * اقرأ عليه قل هو الله

وقال شيخ الشيوخ بحماة

سألته من ريقه شربة * اشفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

وقال يحيى الخباز
طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوش شاليش وقد لختشى * ان يتبع الشاليش بالقلب
وقال بن اسد
اريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا
وقال السرج الوراق
* قال من شبه ريقى * بزلال العذب زلا *
* انما ريقى شهد * قلت ذا من فيك احلا *
وقال اخر
ظبى تربى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه
وقال اخر
ما انصفوا اذ لقبوه شاربا * من بعد ما امسى لقلبى آكلا
وقلت انا
يا صاح سكرى من هوى اغيد * قوامه كالغصن ان ماسا
ساق متى ما لاح لى كاسه * ذكرنى شاربه الآسا
وقلت ايضا
فتاة حين زارتنى عشاء * رايت الشمس ليلا وسط دارى
فورد خدودها ما لاح الا * واحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها ليلا وطول * وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير لنا مراشفها عقارا * قريب العهد من كاس مدار
ومنها
عدمتك يا عذولى فيه قلبى * اذ الاح العذار فما اعتذارى
كانك ما شعرت بان حبى * غدا بعذاره حسن انشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط * قريب الشكل من قلم غبار

سقاني من مقبّلهِ شراباً * طهوراً لم يدنّس باعتصار
واعقب وصله هجراً فقلبي * على حرف من الهجران هار
اذا ما قادني يوماً هواه * مشيت وقطر دمعي كالقطار
أيطمعني بخفض العيش دهري * وجرّ الدمع فيه على الجوار
وقلت ايضاً من قصيدة امدح بها مولانا السلطان حسن
ترادفت التهاني والسرور * وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح * وافراح ولحباب حضور
بروج الافق فيها فرد بدر * وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ في دجاها * فما نامت ولا فتر الفتور
ومنها
اغار من النسيم بها اذا ما * تصافح كفّه فيها الستور
اذا نشرت ذوائبها تبدّى * لميت الحب في الدنيا نشور
لها ثغر يصون الدرّ مجاً * يبيت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصبح لمّا * يلوح وبينه فرق كبير

الباب الثامن والعشرون

في ذكر في طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين * من الرجال * وذوات الجمال * وما في معنى ذلك * من ذكر موالاتهم * ووصف آلاتهم * (اقول) * هذا باب عقدناه لنذكر من استراح من العناء * بسماع الغناء * من كل محبّ يشبّب بالشباب * ويغنّي بالرباب * فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لا يلهيه عنهم لاهيه ولا سيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب * فيقيم الاعراب * ويشبع الالحان * ويعدل الاوزان * ويصيب اجناس الايقاع * ويعطي النغم حقه من الاشباع *

ويختلس مواضع النبرات * ويستوفي ما شاكلها من النقرات
* ويحسن الاختلاس * ويملأ الانفاس * وغير ذلك
مما هو معروف عند ارباب هذا الشان من القيان * ممن جمع
في ذلك بين الحسن والاحسان * (كما قيل
ما تغنت الا تفرج هم * عن فؤادي واقلعت احزان
يفضل المسمعين طيبا وحسنا * مثلما يفضل السماع العيان
والناس في الغناء كلهم عبيد معبد واسحاق الموصلي الذين
هما اطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من
ارباب التاريخ وفي معبد يقول حبيب
محاسن اوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد
* وقال * البحتري يصف صهيل فرس
هزج الصهيل كأن في نغماته * نبرات معبد في الثقيل الاول
* (ومعبد) * هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في ايام
الرشيد واخباره اشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني
وغيره * (واما اسحاق الموصلي) * فانه كان من اهل العلم
والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن
اشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغناء وميز
طرائقها تمييزا لم يقدر عليه احد قبله ولا بعده من
تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفا
واحدا وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ
مثله ومن كلامه حدود الغناء اربعة النغم والتأليف والايقاع
والقسمة * (وكان) * قد سأل المأمون ان يكون دخوله مع
اهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا اراده للغناء دعاه فاجابه
الى ذلك * (وقال) * الواثق ما غناني اسحاق قط الا ظننت
انه زيد في ملكي وان اسحاق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ

احد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر ملكى وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحاق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك اقداحاً تسلسلها * من الشمول واتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته * بعد الهجوع كمسك او كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشأ * تقبيل راحته اشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها اقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكل ما معها في داره ومما لحنه اسحاق وله حكاية ظريفه

* قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا *
* قد بلغت الذى اردت * وان كنت لاعبا *
* واعترفنا بما ادعيت * وان كنت كاذبا *

*(وقد تركت) * حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف فى اخبار اسحاق فى هذا الموضع وحكى ابو الفرج انه اهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال فخلا معها فى قصره يوماً واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن الفى جارية فى احسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فعظم ذلك عليها وارسلت الى علية اخت الرشيد تشكوا اليها فارسلت اليها علية لا يغيظك هذا فوالله لاردنه اليك وقد عزمت ان اصنع شعراً واصوغ عليه لحنا واطرحه على الجوارى فابعثى الى كل جارية عندك والبسيهن انواع الثياب والجواهر حتى القى عليهن الصوت مع جوارى ففعلت ام جعفر ما امرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت

تغنيه من قصرها ومعها ما ينيف عن [illegible] جارية [illegible]
وكلهن في نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عني وما * قلبي عنه منفصل
يا قاطعي اليوم لمن * نويت بعدي ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل جعفر ومعه علية وهو في غاية السرور [illegible] وقال لمسرور الخادم لا تترك في الخزانة [illegible] نثره في ذلك اليوم ستة الاف الف درهم [illegible] * وحكي عن القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى [illegible] حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من [illegible] فعزم عليه في الميل اليه فنزل واحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس اسبلت ظلماءها * فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده وما احسن قول ابن تميم في عواده

وفتاة قد راضت العود حتى * [illegible] بعد جماح وهو ذليل
خاف من عركها اذنه اذ عصاها * فهو [illegible] كما تقول يقول

وقال [illegible]

[illegible]
نثني عليه [illegible]

وقال [illegible]

جاءت بعود [illegible]
غنت على عوده [illegible]

فلا يزال عليه او به طرب * يهيجه الاعجمان الطير والوتر

وقال ابن حجاج

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب في الاحسان مسرور

اذا انثنت وتغنت خلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

وقال آخر

وجارية اذا غنتك صوتا * فما لك من فراق الحلم بد

كان بيسارها في العود برق * ويمناها اذا ضربته رعد

وقال آخر

اشارت باطراف لطاف كأنها * انابيب در قمعت بعقيق

ودارت على الاوتار جسا كأنها * بنان طبيب في مجس عروق

وقال النور الاسعردي في جنكية

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو باصناف الحان الورى هازي

لا غرو ان صاد الباب الرجال لها * اما تراه يحاكي مخلب البازي

وقال الصلاح الاربلي واحسن ما شاء

الجنك مركب عقل في تشكله * والرق قلع له الاوتار اطناب

يجري بريح اشتياق في بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه احباب

وقال ابن دانيال في دفية

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا

تبدي على الدف كالجمار معصمها * لنقرة ببنان يشبه البلحا

غناؤها برقيق الريح تمزجه * فما ينقط الاكل من رشحا

وقال ابن عديم في مغنية

والله لو انصف الاقوام انفسهم * اعطوك ما ادخروا فيها وما صانوا

ما انت حين تغني في مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم اغصان

وقلت انا

وغانية مكملة المعاني * بلطف ما عليه من مزيد

اذاما اطربتنا بالمثانى * تثنت بين رمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان فى خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان اطرى * يواخيها الشقيق من الخدود

وقال آخر

بابى اغانى مطرب * ابدا وترضاه النفوس
يشدو فتزنو بالكؤ * س له وترقص بالروس

وقال آخر

وزامر يبعث فى زمره * الى قلوب الناس افراحا
كان اسرافيل فى نايه * ينفخ فى الاموات ارواحا

وقال آخر فى مشبب

ومطرب قد راينا فى انامله * شبابة لسرور النفس اهلها
كانه عاشق وافى حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال ابن قرناص فى مليح مشبب

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ احيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين احيانا

وقلت انا

رعى الله ارباب اليراع فانهم * ازالوا اعتذارى عنهم بالهوى العذرى
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة * جلينا الهوى من حيث ادرى ولا ادرى

وقلت ايضا ملغزا فى شبابه

وما خرساء ان نطقت راينا * تناقض فعلها امرا عجيبا
منقبة وليس لها ازار * توافينا ولم تخش الرقيبا
فتاة ان خلوت بها وصحبى * رأيتهم معى فيها نصيبا
ينازعنى هواها كل صب * وان لم تشبه الرشأ الربيبا
فكم من عاشق فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا

تجدد لي اذا نطقت سرورا * يعيد زماني البالي قشيبا
ارق من النسيم الصبا صوتا * واسرع في الورى منه هبوبا
تغازل دائما بعيونها من * يطارحها التغزل والنسيبا
فذي روحي اذا ما هيمت فيها * وانشدني من الشعر الغريبا
وشبت بها ايدي وقلبي * ضروب الدمع شتى ضروبا
في عذرهم محب ذو ملال * واعذرهم اشبهم حبيبا

وقال نصيص الخياط يهجو عوادا

ومن ترنمه لا ترتع بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
يكاد تحرك الاندلسية كلها * في عوده يقرض خبزا يابسا

وقال آخر

ثقيل ... فقلت له * سبحان مخليه من الفضل
... حتى شربه * فاشرب فانت اليوم في حل

وقال قيس في ذم المغني قول كشاجم

ومغن بارد النغـ * ـمة مختل اليدين
دار اذ احد في * دار قوم مرتين

وقال آخر

ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فابى يسكت عنا
فشتمناه ... * فاشتفى الفؤاد منا

وقال آخر

مغنية سوء الغناء * يميت السرور ويحيي الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة * فلا للنكاح ولا للطرب

وقال آخر

ولرب زامرة يهيج زمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهتها لما تعاظم بانها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر

بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

هذا مثل قولهم فى المثل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة وقال آخر

كأنها فى حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

ومما احسن قول الوجيه الذروى فيمن يغنى بالرباب ويجمع بين الاحباب

لا تنعتوا بسوى المعذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يديه الرباب وزينب

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر من ابتلى من اهل الزمان * بحب النساء والغلمان * اقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ما هم * تعرفهم بسيماهم * فمنهم من اتصف بالانصاف * وسلك طريقة السلف فى العفاف * وهذا النوع فيما يظهر * اعز من الكبريت الاحمر * لا اراه ولا رايت من رآه * وان وجد اسمه فاين مسماه

فاشهد بصدق مقالتى * اولا فكذبنى بواحد

هيهات بل قصارى اهل هذا العصر ان يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان رجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان راى من راها فاذا ظفر بها فى مجلس تشاكيا وانشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يتشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه على نكاحها امين الامناء كما قيل

لم يحظ من داخل الدهليز منصرفا * الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت
العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف
هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قالت
يا ابن اخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد وسئل اعرابي عن ذلك
فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من اطايب الحديث
بنصيب فكيف هو عندكم ايها الحضري فقال العض
الشديد * والجمع بين الركبة والوريد * ورهز يوقظ
النيام * ويوجب الآثام * فقال تالله ما يفعل هذا
العدو فكيف الحبيب * قلت وقد تقدم ان الملوك
ليسوا كغيرهم في العشق وان الملك العظيم قد يعشق
ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه * وهنالك
طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم
بصنائعهم وطبقة اخرى يبخلون باديانهم وعقولهم
عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى
هولاء فان عشقهم عرض من الاعراض * بل عرض من الامراض * اذا وصلوا
اليه اسرعوا بانصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر
العمر وهذا هو الغالب على اهل زماننا هذا وهو افسد انواع الحب
اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عند الشغل ويحدث عنه
غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لا محالة
وامر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء * ويجب بقليل
الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفا بالبولة
جمره فمن اهل هذا العصر * من اقتصر على دمية القصر *
فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع في الامرد العذار *
وقال للسلو عن وجنته الحمراء النار ولا العار *
ومنهم من فرد بين الفريقين * وجمع من المذكر

والمؤنث بين الضدين * فتراه يأتي على ما حضر * ولا يتوقف
عند صورة من الصور * كما قيل

انا الرجل البصير بكل امر * دخلت من التصابي كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبي * ولا يأبى مواصلة الكعاب

وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال

أعشق المرد والنكا ريشو والشيب * وعندي مثل البنين البنات
حد ما يشتهي ويعشق عندي * حيوان تحل فيه الحياة

وقال ايضًا

انا من قولي مليح * او قبيح مستريح
كل من يمشي على وجه الثرى عندي مليح
حد ما ينكح عندي * حيوان فيه روح

وقال بن تميم مضمنًا

ومعشر عذلوا لما ركبت على * أحوى محاسنه فتحن فعلهم
دع يعذلوا اما استطاعوا انني رجل * لو استطعت ركبت الناس كلهم

وقال بعض مشايخ العصر

وعارض قد لام في عارض * وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طلعت ذقنه * فقلت لا افكر في ذقنه

وقال ايضًا

شيب وجدي بشائب * من سنا البدر وجهه
كلما شاب ينحني * بيض الله وجهه

وقال ايضًا بعض مشايخ العصر

وقد عنفوني في هواه بقولهم * ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع * وحقكم بالوجد فيه الى الذقن

وقال ايضًا بعض مشايخ العصر

وكامل العارض قبلته * فصدني وازور من قبلتي

وقال كم انهاك عن فعل ذا * وانت ما تفكر في لحيتي

وكتبت انا الى بعضهم

ليهن مولانا حبيب لم يزل * بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه * انبتها الله نباتا حسنا

فكتب الي الجواب عن ذلك

يا مادحا للحية سلواننا * عن روضها لما زها لن يحسنا
مذ نبتت فيه نباتا حسنا * قبلتها منه قبولا حسنا

فكان كما قيل

حاشا لمثلي عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال ايضا بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا

كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخو العقل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
فقلت لهم لو كنت اصبو الامرد * صبوت الى هيفاء مياسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فاثرت ان ابقي بابيضهم وحدي

وقال آخر وقد عشق عجوزا

كلفت بها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

قال ياقوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصه بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل وقال فيهم الشاعر

كتب العذار على صحيفة خده * سطرا يلوح لناظر المتامل
بالغت في استخراجه فوجدته * لا راي الا راي اهل الموصل

ولقد جئت البلاد ما بين جيحون والنيل فمن رايته لا يخرج عن هذا المذهب فلا ادري لم يخص به اهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد

الميل الى الذكر لا تخلوا منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك
بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما ما لوا الى من فى عذاره شيب
ويقولون هنا شعرة وشعرة اى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم
يسميه زرزوريا وهذا قل ان يوجد فى غير بلدهم وقد موا بهذا من
بين اهل البلاد هم واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطى
فليستنا الا لمن ينفقها على عايلته ووليداته ما نعطيها لمن
ياكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية
فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى
اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة
قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق * ايمة الفساق * ناكحى الذكران
وتاركى النسوان * وكيف اخذهم وهم فى خوضهم يلعبون *
وقطع دابرهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون * وكيف جمع
عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على امة من الامم اجمعين *
وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتاخرين *
قال لما تجرأوا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا لاخوانهم
طريقا وقاموا بها وقعد واضحت الملائكة الى الله من ذلك
ضجيجا * وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا * وهربت
الملائكة الى اقطار السموات * وشكتهم الى جميع المخلوقات *
وهو سبحانه قد حكم انه لا ياخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة
عليهم * والتقدم بالوعد والوعيد اليهم * فلما خالفوا الرسول
المرسل اليهم * ووقعت الحجة عليهم * فعل الله تعالى بهم
ما اخبر به فى كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما
هى من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور *
وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

قوله لما تجرأوا هذا مقول قوله اولا قال الشيخ وكرر قال تاكيدا والتنبيه على انتهاء لفظه مصحح

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم * فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم * على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم * الم يتعدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراط اللنا في العشق غير حميد
اتيتنا به الذكران من عشقنا لهم * فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب احق من * متابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم انذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ومجمعنا في النار غير بعيد
حكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان عن الاصمعي
انه قال دخلت يوما انا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة
التي يجلس اليها ابو عبيدة مكتوب على نحو سبعة اذرع
صلى الاله على لوط وشيعته * ابا عبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتملت وقد جاوزت سبعينا
قال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان اثقلته فقال
اثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شر
حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره واثقله قال له عجل
فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك
ابو نواس قلت وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان
ياجوج وماجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط
* (فصل) * في النظر الى وجه الامرد ذكر الحافظ محمد
ابن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس
على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة
فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت
خطيئة من مضى النظر وفي الكامل عن ابي هريرة نهى رسول

قوله مهلة اى واحد المهل وقيل هو دردي الزيت وقيل النحاس المذاب وقيل غير ذلك مصحح

الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان
سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم الرجل يلح بالنظر الى غلام امرد
فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى
وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد
الرحمن بن واقد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم
ما لا تشتاق الى الجواري العواتق وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري
وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي
مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء حكى عن ابي سعيد الخراز
وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رايت
ابليس في منامي وهو يمر عني ناحية فقلت تعال فقال اي شيء اعمل
بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو
قال الدنيا ثم قال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة
الاحداث فاخذت العصا لاضربه فقال انا ما اخاف من العصا انما
اخاف من نور القلب قال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا من الابدال
كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث وحكى ابو عبد الله احمد بن الجلاد
قال كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميل الصورة فقلت اترى
يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال او نظرت اليه سوف ترى
غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلومات
النظر الى الامرد يوقع في سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق
الصور لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر
والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم من سكر
الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو في عسكر الموتى
سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى يفيق فتى به سكران
انشدني بعض مشايخ العصر

يا من غدا بالمرد ذا الوعة * ما انت في حبهم بالمصيب
في الخرد العين التي تشتهي * منهم ويفضلن بحب الحبيب
وقال آخر
حبك الغلمان امر * كنك النسوان غبن
انما يفسق في الظهر اذا اعوز بطن
على ان عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه * مما لا يدرك تلافيه * وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء قلت ولا سيما نساء هذا الزمان * من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرني شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب او الطاق كما قيل في معنى ذلك
شغل المرد بالبدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى * فعزاء يا معشر الفساق
وحكى عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض ما ادى تريد ان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها ان يقال في حقها
مغرمة بالسحاق اضحت * تبكي عليه بكل عين
فما التقت في الهتوك الا * تضيق اسحاق في حسين
حكي ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحاق فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الحبال ورجال وقال شيخنا زين الدين بن الوردي في نساء اهل نعصر هذا الشعر فقال
قولوا لمن تهوى السحاق الذي * حرمه الله وما فيه خير
حصانك يا كاملة الحسن اذ * اقمت اسحاق مقام الزبير

وقال آخر

قل لمن تدعي السخا * قال لي كم تساحقي
ليس يشفي غليلك * من جميع الخلايق
غير ذا الاصلع الفقير * الحليق الجوالق

وقال ابن سناء الملك

يا هذه لا تستحي * مني قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تشا * ءب ان ايري قد تمطى

وقال بعض مشايخ العصر

ايري اذا ندبته * لحاجة تختص بي
قام لها بنفسه * فما هو الا عصبي

وسألني بعض الاصحاب ان انظم له مثل هذا فقلت واستغفر الله واتوب اليه

تأخرت لحيضها * قلت لها تقدمي
ايري هذا عصبي * يدخل معك في الدم

وقال بعض مشايخ العصر

وكنت اذا رأيت ولو عجوزًا * يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد ولي الوزاره

وقلت انا

يا ايران مر الحبيب مسلمًا * واغمار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك احمقًا * ما في وقوفك ساعة من باس

وقلت ايضًا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى في الصيام الحب انشكي * ايري وقال اشترط ما شئت واحتكم
فالامر امرك ما عندي مخالفة * ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

وحكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان بعد ان رد قول بعضهم

ولقد قال لي صديقي لما * ان رآني أضرني الإفلاس
قم تسكم بذا العمود فهذا الـ * أين يرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهري * اهله كلهم لئام خساس
اين من كان عندهم يرفع الايـ * ـر على الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بمقاديـ * ـر الايور الكبار مات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين بن الشيخ رآى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلك ما مات وقال آخر

زعموا انني خسرت عليها * ليت شعري من اين تلك الخساره
من مغل من ضيعتي من قماشي * من بقايا اموال تلك التجاره
حضرتني فقام ايري اذا ذا * لا يحاكي قيطينة اوخياره

وقال آخر

ويحك يا ايري اما تستحي * تخجلني ما بين جلاسي
تطلع من طوقي كذا عامدا * تنكس العمة عن راسي

وقال بن مطروح

سألت من امرضني * في قبلة تشفي الالم
فقال لا لا ابدا * قلت له نعم نعم
فقال غصبا قلت لا * الا سماحا وكرم
قال فسرا قلت لا * الا على راس علم
قال فخذها بالرضى * مني حلالا وابتسم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

الباب الثلاثون

في ذكر من اتصف بالعفاف * باحسن الاوصاف * اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا * واظهرهم دليلا * واحسنهم سيره * وازكاهم سريره * واعفهم

مع القدره * ولاسيّما بنو عذره * الذين هم اشدّ الناس غرامًا * واعظمهم هياما * فلذلك قلت واقول العشق مع العفه في بني عذره كثير * والمقتول منهم عشقا جمّ غفير * فان ذكر احدهم بالعفة فجميل جميل الصفات * صادق العزمات * وسنورد من اخباره في هذا المقام ما يصدّق هذه الدعوى * ويحقق ان التسلّي بالمحبوب عن غيره ضرب من السّلوى * فمن ذلك ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه فدخل عليه العبّاس بن سهل فقال له جميل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنه قد نجا وارجو له الجنّة فمن هذا الرجل قال انا فقلت له ما احسبك سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال اني لفي اوّل يوم من ايام الاخرة وآخر يوم من ايام الدنيا فلا نالتني شفاعة محمّد يوم القيامة ان كنت وضعت يدي عليها لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة ومن غريب ما حكاه الزبير من اخبار جميل ان بثينة المذكورة من بني عذره وبنو عذره قبيلة مشهورة بالعشق في قبايل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لانهم اشدّ ما خلق الله عشقا قال سعيد ابن عقبة لاعرابي ممّن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذريّ وربّ الكعبة ثمّ قال ولم ذلك قال لانّ في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة وقال رجل لعروة بن حزام يا هذا بالله اصحيح ما يقال عنكم انكم ارقّ الناس قلوبًا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابًا في الحيّ قد خامرهم الموت

ما لهم داء الا الحب وقال رجل من بني فزاره لرجل من
بني عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك
ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة
فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج * من فوقها الحواجب الزج *
من تحتها المباسم الفلج * والشفاه السمر * تفترعن الثنايا
الغر * لاتخذتموها اللات والعزى ثم انشد
تتبعت مرمى الوحش حتى رميتني * من النبل الا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وقيل لبعضهم ماكنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال
احل الخمار * واحرم ما وراء الازار * واظهر للحب *
ما يرضي الرب * وقال الحافظ ابو محمد الاموي
ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع
امرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمي نحقق ما يقال
فينا فقالت لا والله لا كان هذا ابدا وانا اقرأ الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لبعضهم وقد
طال عشقه لجارية من قومه ما انت صانع ان ظفرت بها
ولا يراكما الا الله قال والله لا اجعلته اهون الناظرين لا افعل
بها خاليا الا ما افعله بحضرة اهلها حنين طويل ولحظ
من بعيد واترك ما يكره الرب ويفسد الحب وقيل
لآخر ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبتك فقال ضمها ولثمها
وعصيان الشيطان في اثمها * ولا افسد عشق عشرين سنة
بلذة ساعة تفني ويبقى حسابها اني ان فعلت هذا للئيم *
ولم يلدني كريم * قلت وممن اتصف من
العفاف * باحسن الاوصاف * من الخلفاء هارون
الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت

ان اباك المربي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

آرى ماء وبي عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

فقال له القاضي او كلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فانظرها احسن عفة الجارية وامتناع هارون الرشيد مع شدة شغفه بها ودخل عليه منصور ابن عمار فاستدناه حتى الصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا امير المؤمنين تواضعك في شرفك * احب الينا من شرفك * فقال عظني فقال من عف في جماله * وواسى من ماله * وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا اكنت تشتريها به قال نعم فلو تعسرت عليك بعد شربها اكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال فقبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة وحكى عن السلطان ملك شاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فاعجبتها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم اني اغار على هذا الوجه المليح الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال ايسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوجها واقامت في عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل اكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد ان السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسماية دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الي وكنت قد ربيت السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسماية دينار ثم تركني اياما وقال احضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد ايام قال احضره بعد العشاء الى الخيمة ونم انت واياه

على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب
كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل ان يقع
في المعصية فأخذت كتاره فاصلحتها وجيئت بالمملوك وانا في قلق
فسهرت عامة الليل ونور الدين في اعلى البرج ثم غلبتني عيني
فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل
الجمر وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي واحضرت
الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني
نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحي
فقال قد عرفت حالي وانت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت
حاشا لله قال فلم حملت الكتارة وحدثتك نفسك بالسوء انا
معصوم لما رايت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت
اشتريه لعله يذهب عني ما انا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي
اريد كل يوم ان اراه فأمرتك باحضاره فقالت اريد ان تحضره
الى البرج بالليل فامرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس
انام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان اصعده الى عندي
فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عبدك محمود
المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم
الذي عمر المساجد والمدارس والربط تختم اعماله بمثل هذا
فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث
به حدث واما انت فجزاك الله عني خيرا والله ان القتل عندي
اهون من المعصية ثم احسن الى (وحكى) عن فاطمة بنت
الخثعمي انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله
عليه وسلم الى نفسها للنور الذي رأته بين عينيه فابى وقال

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

قوله كتارة وفي نسخة بجادة والمراد انه كالمدية

قلت افقصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم في المثل
واحد يشتهي التين وآخر يقطفه في حاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو
حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وانشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وانت لاخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جُننا بليلى وهي جُنت بغيرنا * واخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الاخر

عَلقتها عَرَضًا وعَلقت رجلًا * غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

(وممن) اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام ابن الامام محمد
ابن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهوره وهذا موضع
ايرادها * ونشر ابرادها * فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة وزكاة
الوجه الحسن امكان اهل العفة من النظر اليه وحكى محبوبه
محمد وقيل اسمه وهب ابن جامع الصيد لاني انه دخل على امير
المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رايت منه ما تكره فقال
لا يا امير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن
وجهي ثم يقول اللهم انت تعلم اني احبه واني اراقبك فيه قال
فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت
في المراة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي
وآليت ان لا ينظر احد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني
مغطى الوجه خاف ان يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت
رايت الساعة وجهي في المرآة فاحببت ان لا يراه احد قبلك
فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد بن واسع ينفق على
محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على
عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر الا هذا مع ما هو

فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكاية غريبة اضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع ادب اتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر انيق وقال في اوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وانت احد مغيريه * ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه * ومن عجيب ما تأتي به الايام ظالم يتظلم * وغابن يتندم * ومطاع يستظهر * وغالب يستنصر * ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب * وبدأت في كتاب الزهرة وانا في الكتاب * ونظر الجن في اكثره ومن الطف ما حكي عنه انه التقى هو وابو العباس بن سريج في مجلس ابي الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق من ان تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني اقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست ارى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج فيم تفخر علي ولو شئت لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت امنعه لذيذ سناته
ضنا بحسن حديثه وعتابه * واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه ايها الوزير ما اقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدين عدلين على البراءة فقال له ابن سريج يلزمني

في هذا

في هذا ما يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما * قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن) لطيف ما يحكى عن محمد ايضا ما حكاه ابو القاسم الصائغ قال قال لي محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلي باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لاني دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأياني تفرقا فآليت ان لا ادخل من باب كنت فيه السبب في الفرقة بين المتحابين فدخل علي ثعلب فقال له اسمعنا شيئا من صبوتك فانشد

سقى الله اياما لنا ولياليا * لهن باكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غايب

ومن شعره

لكل امرء ضيف يسر بقربه * ومالي سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلي كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسأل عن كيف

وقال بن السراج في كتابه مصارع العشاق وعن ابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال دخلت على محمد بن داود الظاهري في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني ابي قال حدثني سويد بن سعيد قال حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى العقاف عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي

وانظر الى الشعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دب فى عاج

وانشدنا لنفسه

ما لهم انكروا سواد الخد يـه * ولم ينكروا سواد العيون
ان يكن عيب خده بذار الشعـر * فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس فى العفة واثبته فى الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات فى ليلته رحمه الله قلت وقد اختلف الناس فى قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصرى لحب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب احد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاى فى كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يرد بها يعنى قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل فى كتابه المذكور ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية فى صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعى وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيى الدين النووى فانه اطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميتة طلقا يعنى من الشهداء هذا مع شدته فى الدين وعدم مساهلته فى هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودمع القتيل متساويان فى التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد الناجى

اذا مات المحب جوى وعشقا * فتلك شهادة يا صاح حقا

رَوَاه لنا ثقاةٍ عن ثقاةٍ * الى الحبر بن عبّاس نرقي
وقال عبد الكريم القشيري
انّ المحبّ اذا توفّي صابرًا * كانت منازله مع الشهداء
يَرْويه اقوام غدوا فصدقهم * علمًا وناهيكم بهذا الداء
وقال الحسن بن هانى
ولقد كنّا رُوينا * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيّب * انّ سعد بن عُباده
قال من مات محبًّا * كان من اهل الشهاده
وقال بن رواحة الحموي واحسن ما شاء
لا موا عليك وما دروا * انّ الهوى سبب السّعاده
ان كان وصل فالمنى * او كان هجر فالشّهاده
وانه عكس قوله هذا فقال
يا قلب دع عنك الهوى واسترح * ما انت فيه حامدًا أمرا
اضعت دنياي بهجرانه * ان قلت وصلا اضعت الاخرى
وقال آخر
خليليّ هل خُبّرتما او سمعتُما * بان قتيل الغانيات شهيد
وقلت كأنى حاضر اخاطبه
نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى * وعفّ الى ان مات فهو شهيد
فخذ عن مقال انت فيه مذبذبٌ * فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذي يرويه ركب ذوي الهوى * به كلّ يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم * فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندما * تميل بهم سفن الهوى وتميد
اتبكى دُوَيْنَ العام من عام منهم * وقد خدّ حولا للبكاء لبيد
قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة
العقود * المنقية النقود * المجبورة الكنوز * العالية

القصور * مشتملا كل باب منها على بيت قصيد * وبحد مديد * يسقي ثمر غروسها * ويروي المجدب من طروسها * بعينين نجلاوين لو رقرقتهما * لنوء الثريا لاستهل سحابها وما بقي الا ذكر مصارع العشاق * واخبار من اصبح من المحبين ميتا بالاشواق

ان لم امت في هوى الاجفان والمقل * فواحيائي من العشاق واخجلي
ما اطيب الموت في عشق الملاح كذا * لاسيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا اما مت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل

وقال بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله

للعاشقين باحكام الغرام رضى * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * عهد الوفا للذي للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما اخبار من قتلوا * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

وقال جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله اركانا

وقال آخر

ما زال يهوى المقلا * قلبي الى ان قتلا
الحمد لله الذي * مات وما قيل سلا

وقال آخر

ترى المحبين صرعى في ديارهم * كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا * ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

وقال محمد الواعظ

دعا لومي فلومكما معاد * وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى اهل التصابي * لماماتوا ولو ردوا لعادوا

* (خاتمة الكتاب) *

في ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من صغير وكبير * وغني وفقير * على اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم استسست قواعد هذا الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * لاتوصل منه الى ذكر من ساقه الهوى الى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا اشرع في ذكر مصارعهم * وعرض بضائعهم * اذ منهم الخاسر والرابح * والصالح والطالح *

* (فمنهم شقي وسعيد) *

* (ومنهم قتيل وشهيد) *

* (فمنهم شقي وسعيد) *

حكى ابو الفرج بن الجوزي قال ذكر لي شيخنا ابو الحسن علي بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم الق فلانة في الدنيا واخشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما لقيت صاحبي في الدنيا واريد ان القاه في الاخرى وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم اسمع باغرب من هذه الحكاية * ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب * وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب * فابتلى من فراق محبوبته ودينه بدائين * ودارت عليه دائرة السوء في الدارين * وكيف لا وقد ورد بكتياده في الحب دار البوار * واصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار *

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدي يرثي حبيبا له نصرانيا واحسن ما شاء حيث قال

اخي بوداد لا اخي بديانة * ورب اخ في الود مثل نسيب
وقالوا اتبكي اليوم من ليس صاحبا * غدا ان هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا اوان تلهفي * وشدة اعوالي وفرط نحيبي
ومن اين لي ابكي حبيبا فقدته * اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسوما بالجمال الخمار فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به واقام ببابه في الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد والحدود طول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم ان عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فافتصد في احدى يديه ودعا فاصدا آخر فافتصد في اليد الاخرى ودخل داره واغلق باب بيته وفجر الفصادين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذي هو فيه فادركوه وقد اشرف على الموت فصالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه ومن شعره فيه

انظر الى الشامة في خده * الحاظه باللحظ جراحه
كأنها من حسنها اذ بدت * حبة مسك فوق تفاحه

* (ومنهم شهيد) *

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن ابي زيد النحوي عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل ذكر لي ان فيه راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية من

بني تغلب كثيرة الاموال وانها هويت غلاما مسلما فكانت
تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما اعيتها
الحيلة اعطت رجلا مصورا مائة دينار على ان يصور لها صورة
الغلام كهيئته ففعل ذلك فما زالت تأتي كل يوم الى تلك الصورة
فتلثم ما تحب منها ثم تجلس بازائها تبكي فاذا امست قبلتها
وانصرفت فما زالت على ذلك مدة فتوفي الغلام فعلمت فلحقها
عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل
تلثمها وتقبلها وبكت الى ان امست فباتت الى جانبها فلما اصبحنا
وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بما فيها
اسلمت روحي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها
الى جانبه ولحده وان امها ظلت مغمومة بما آل اليه امرها فرأتها
في المنام فقالت فلانة ما فعل الله بك فقالت

اصبحت في رحمة مما جنته يدي * ورب جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابني رحمة منه واسكنني * مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذي صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت
واسلم معها اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

(ومنهم شهيد)

تم بعون ... الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين
ابي ... مغلطاي ... سنة سبع وخمسين وسبعمائة

بالقاهرة المحروسة قال رأيت في الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا
وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة
فكان يأتي الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس
موزونا ولا معنى له ملخصه انها كانا من حكامهم اخذا مالا
كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر
شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث في الليل يقرأ
سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث الجماعة قتلوا في المعركة
فقال له ابو يزيد يا مولاي كيف قتل هؤلاء قال له ماتوا في سبيل الله
تعالى فقال امولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له
المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان فحسبوه يتوله
فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده

* (ومنهم شهيد) *

ذكر بن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من
حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف .
وصار رحمة للناس فلما بلغها ذلك اتت فأخذت بعضادتي الباب
وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتني في السياق تعطفت * عليّ وعندي من تعطفها شغل
اتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل
ثم اغمي عليه فمات

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من
اهل الادب والطرب يقال له علي عشقته جارية من جواري
المقينات وواصلته فكان يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية
على غاية العشق له والميل اليه فلم يزل الامر كذلك حتى ماتت الجارية
عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها

واعراضه عنها فرآها في المنام ليلة وهي تقول له

اتبكي بعد قتلك لي علي * فهلا كان ذا اذ كنت حيا
سكبت دموع عينك لي وفاء * ومن قبل الممات تسيء اليا
فيا قمرا برى جسمي وروحي * واهلكني وما ابقا عليا
اقل من النياحة والمراثي * فاني لا اراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكا حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

* (ومنهم قتيل) *

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ المذكور اجازة قال حدثني طقطاي مملوك نايب الكرك الساكن بالخرنفش ان اخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا واقامت عنده مدة سنين فخنث فيها يوما فلما بلغها ذلك القت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بصهره علاء الدين استاذ دار نايب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هي قصة معروفة في تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

* (ومنهم شهيد) *

ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح الاعور يجلس في مجلس ابي عبد الله بن بهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبي يقرأ ولم نعمر كم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي بلى دفعات واغشي عليه طويلا فجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت انزلها فلم يبق الصوفي الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد ايام سالت عنه فعرفت